Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عرفان محمد حمّور

سوق عكاظ
ومواسم الحجّ

مؤسسة الرحاب الحديثة
بيروت - لبنان

Bibliotheca Alexandrina
0184964

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سوق عكاظ

ومواسم الحجّ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عنوان الكتاب

سوقُ عكاظ ومواسم الحجّ

المؤلِّفُ: عرفان محمد حمُّور

الناشِر والموزِّع

مؤسسة الرِحَاب الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع

المدير المسؤول: أحمد فوّاز

هاتف: ٠٣/٣٥٩٧٨٨

ص. ب: ١١/ ٣٨٤٧

بيروت ـ لبنان

التنضيد والإخراج

مؤسسة غَوْر بْرِسْ

هاتف: ٠٣/٦٣٣٥٩٨

العنوان: البربير ـ بناية كاملة ـ ط ٤

بيروت ـ لبنان

تصميم الغلاف والفهارس الفنيّة

د. هدّال عرفان حمُّور

الطبعة الأولى ٢٠٠٠

جميع الحقوق محفوظة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اقتصرت على بعض القبائل فقط، وذلك إذا استثنينا مواسم الحجّ إلى مكة، ومواسم التربُّع في البوادي والأرياف. فلْيكُنْ تأريخنا لعكاظ إذن تأريخاً لكل مواسم العرب، وتأريخاً للكثير من عاداتهم الاجتماعية.

كانت متاجِرُ العربِ، وغيرِ العرب، تُحْمَلُ من مَواضِعها إلى عُكاظ، فيقصدها في موسمها من أراد الميرةَ أو التجارةَ على السواء. فلما عَظُمَ شأنُها، وصارت مَجْمعاً عامّاً للعرب، أَمَّها الشعراءُ والخطباءُ، وكان معظمُ همِّهم انتقاءَ الكلمات الفصيحة، المشهورة عند قبائل العرب، ولا سيما قبائلِ الحجازِ ونَجْدٍ وما اتصل بها، أو جاوَرَها، طمعاً في أن تنتشِرَ أقوالُهم في العرب كافةً، فكانت عكاظٌ بذلك، مع المواسم الدينيَّةِ الكبرى، والأسواقِ العامَّة الأخرى، أقوى عاملٍ في توحيد لغة العرب، وتَهْذيبِ لهجاتهم، واختلاطِ قبائلهم، والاقترابِ من المجتمع العربيّ القَوْميّ الواحد. وقد كانت وحدةُ اللغةِ والأفكار المقدّمةَ الكبرى التي سبَقَتِ الإسلامَ، مُتَرقِّبَةً لأَوَانه، «فالشعورُ بالعربيّة، والفخرُ باللسان العربيّ مُقدّمةٌ لا بدَّ منها للدعوةِ التي واجَهتِ العربَ بآيَةِ البلاغة في القرآن الكريم...»[1]، ذلك أن لهجات القبائل العربية كان بينها تَفَاوُتٌ في النُّطْقِ والمُفْرَداتِ والقواعد، وكان هذا التفاوُتُ يَقِلُّ، أو يكْثُرُ، تَبَعاً لقُوَّةِ أو ضَعفِ العلائق التي تربطُ بين القبائل، وتَبَعاً لاختلاف عوامل المكان والزمان، التي يُؤثِّرُ اختلافُها وتَفَاوتُها أعظمَ تأثيرٍ في اللغة. ولئن كانت عكاظٌ بدأتْ سوقاً تجاريةً، أو موسماً دينيّاً، لقد انتهت في آثارها إلى تطوُّرٍ عميق في مجتمعاتِ العرب وحياتهم، ولولاها لكانت لغةُ العرب لغاتٍ، من العسير على أصحابها أنْ يَفهمَ بعضُهم على بعضٍ شيئاً بها. فعُكاظٌ لم تكن سُوقاً وحسْبُ، وإنما كانت عالَماً للعرب

---

(١) عباس محمود العقاد ـ مطلع النور: ٧٦.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

● عَكَظَهُ عن حاجَتِهِ، وعكَّظَهُ: رَدَّهُ عنها، وصَرَفَهُ[1]...

تلك هي جملةٌ من معاني الكلمة، ومن التأمُّلِ فيها يبدو لنا، وكأن الكلمة إنما وُضِعتْ من أجل هذه السوق، وليس لأَيَّةِ عِلَّةٍ لُغويَّةٍ أخرى، فكل مَعْنىً منها له دَلاَلَةٌ على بعض ما كان يجري في السوق، وهذا ما أعْجَزَ الباحثين، وأهلَ الأخبار، فذهبوا في التفسير والتعليل مذاهبَ مختلفةً شَتَّى، وقَلَّبُوا الكلمةَ على بعض هذه المعاني، فقيل إن السوق سُمِّيت عُكاظاً، لأن قبائل العرب كانت، إذا حَضَرت موسمَها، تَتَفاخَرُ فيه، فيعكِظُ بعضُهم بعضاً بالفَخَار، أي يغْلِبُه بالمفاخرة... وكانوا يَتَحاجُّونَ، فيعكظُ أحدُهم خصمَهُ بالحُجَّة عكْظاً، أي يقْهرُهُ. وقيل إنها سمِّيت بذلك من تَعكَّظَ القومُ تَعكُّظاً، إذا تَحبَّسُوا لينظروا في أمورهم، وكانت العربُ تجتمعُ بعكاظ للتشاوُرِ والنظرِ في شؤونهم[2].

وفي اعتقادنا أن تلك المعاني كلَّها صالحةٌ لتعليل التسْمِيَة، فالحبْسُ، والعَرْكُ، والعِرَاكُ، والقهْرُ، والمفاخرةُ، والدَّعْكُ، والدَّلْكُ، والمجادَلةُ، والمَطْلُ، والاجتماعُ، والازدحامُ، والتمنُّعُ، وما إلى ذلك، جميعُها من أغراض عكاظٍ ووقَائعِهِ، وهذا مذهبٌ في التَسْمِيَةِ تتجلَّىٰ فيه عبقريةُ العرب، وبراعتُهم في اختيار كلماتهم. والواقع أن ما كانت العربُ تعالجه في مواسم عكاظ، فضلاً عن التجارة، أوسعُ من أن يُحيطَ به عَدٌّ، فكانوا يتناشدون ما أحْدثَ شعراؤهم من الشعر، ويتفاخَرون، ويتَحاجَوْن[3]، ويتنافَرون[4]،

---

(١) ابن منظور ـ لسان العرب: ٧/ ٤٤٧ ـ ٤٤٨ (عكظ).

(٢) ياقوت الحموي ـ معجم البلدان: ٤/ ١٤٢، ولسان العرب: ٧/ ٤٤٧ ـ ٤٤٨، ومحمد عاطف بك ـ أدبيات اللغة العربية: ١/ ١٢ (المطبعة الأميرية بمصر ١٩٠٩ م).

(٣) تحاجَوْا: تطارَحُوا الأحَاجي لامتحان الفِطْنة والعقل.

(٤) المنافَرة: التفاخُر بعِزَّة النَّفَر وكثرة العدد.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

① ـ مَذَاهبُ القدماء وبعض المتأخّرين في مَوضع عكاظ ومَعَالِمِهِ:

صَفْوةُ ما يمكنُ اسْتخلاصُه من أقوال القدماء، أن موضعَ عكاظٍ كان بأَعْلا نَجْدٍ[1]، في أرضٍ هي من دِيَار قبائل قيس بن عيلان بن مُضَر[2]، بين وادي نخلة، ومدينة الطائف[3]، وراءَ قَرْنِ المنازل[4]، بنحو أربعةٍ وعشرين ميلاً، أي مسيرةِ ليلةٍ واحدة، على طريق المسَافر من مكة إلى اليمن، وأنه من أعمال الطائف، على عشرة أمْيالٍ، إلى اثْنَيْ عَشَرَ مِيلاً منه[5]. وقيل بل إن بينه وبين مدينة الطائف ليلةً، أي نحو أربعةٍ وعشرين ميلاً، وأن بينه وبين مكَّةَ ثلاثَ ليالٍ، وأن السوق كانت تُقامُ بمكانٍ منه يُسمَّىٰ: الأُثَيْداءُ[6]. . . وذُكر أن فيه صخوراً، كانوا يطوفون بها، ويحجُّون إليها، وبه كانت أيامُ الفِجَار الآخِر[7]، إلا اليومَ الأوَّلَ منها، كانت الوقعةُ فيه بموضعٍ في وادي نَخْلةٍ،

---

(١) **محمد بن حبيب** ـ المحبَّر: ٢٦٧، وتاريخ اليعقوبي: ١/ ٢٧٠، **وأبو علي المرزوقي** ـ الأزمنة والأمكنة: ٢/ ١٦٥، ود. **عبد الوهاب عزام** ـ موقع عكاظ: ٤٣ ـ ٥٣، **وعالِيَةُ نَجْدٍ**: ما فوق أرضِ نَجْدٍ إلى أرض تهامة، وإلى ما وراء مكة، وهي الحجازُ وما والاها. وعالِيةُ الوادي وأعلاهُ حيثُ ينحدر الماءُ منه، وسافِلتُه أو أسْفلُه حيث ينصبُّ إليه. وعلى ذلك فأعلى نَجْدٍ يقع في الغرب والجنوب منها.

(٢) **أبو الوليد الأزرقي** ـ أخبار مكة: ١/ ١٩٠.

(٣) **ياقوت الحموي** ـ معجم البلدان: ٤/ ١٤٢، **وأبو الفرج الأصفهاني** ـ الأغاني: ٢٢/ ٦٤.

(٤) **قرن المنازل**: من المعلوم أن وادي نخلة موضعٌ على ليلةٍ من مكة، فيه نخلٌ وكرومٌ، وهو مجتمع وادِيَيْ نخلة اليمانية ونخلة الشامية، وقَرنُ المنازل مَوضعٌ بنخلة اليمانية يُعرف اليومَ بالسَّيْل الكبير، وهو ميقاتُ الإحرام لحاجِّ نَجْدٍ واليمن والطائف، بينه وبين مكة ليلتان، أو (٥١) ميلاً تقريباً، وبينه وبين الطائف (٣٦) ميلاً، فيكون الطريق بين مكة والطائف نحو (٨٧) ميلاً ـ (معجم البلدان: ١/ ٤٤٩، ٤/ ٣٣٢، ٥/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨، وأخبار مكة: ٢/ ٣١٠).

(٥) أخبار مكة: ١/ ١٩٠، والأغاني: ٢٢/ ٦٤.

(٦) **الأُثَيْداء**: موضعٌ اندرستْ معالمه فبات مجهولاً.

(٧) معجم البلدان: ٤/ ١٤٢.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يُحدِّثنا بشيء من أخبارها؟ مع أنه نظر من موقفه على الحُرَيْرة نحو الجنوب، فرأى جَبَلاً أبْعَدَ من الحُرَيْرة ومن عكاظ؟ والواقع أن الرجل أُتيَ في حُكمه من تَوَهُّمٍ، نَشَأ في فكره من أمرين، **أحَدُهما**: بلوغُه موقعَ الحُرَيْرة قادماً إليها من الغرب إلى الشرق رأساً، **والآخَرُ**: ما عَزاهُ ابنُ بُليهد إلى عَزَّامٍ السُّلميّ من كلامٍ لم يَقُلْه كما أشرنا آنفاً... فاسمعْ معي حديثَ الدكتور عزَّام:

«سِرْنا من مطار الحَوِيَّة صَوْبَ الشرق، نحو اثنيْ عشَرَ كِيلاً، فإذا أرضٌ واسعةٌ مُطمئنَّة، أدركنا فرْقَ ما بينها وبين الأرض التي سرنا عليها من الحَوِيَّة، يدلُّ منظرُها على أنها مجتمعُ مياه... ثم قال: سِرْنا إلى الشرق، نقصدُ حَرَّةً كبيرةً، عاليةً، مُشْرِفَةً على سهل واسع. سرنا إليها بالسيارات، نمرُّ بأحجارٍ كبيرةٍ بيضاءَ من المرمر... فلما بَلَغنا الحرَّةَ... صَعَدنا، وأَجَلْنا البصرَ فيما حَوْلَنا... فقال ابنُ بُلَيْهد: إن عَزَّام بنَ الأصبغ السُّلَمي يقول في عكاظ: وهو في أرض مستوية، ليس بها جبال، وإذا كنتَ في عكاظ طَلَعتْ عليك الشمسُ على حَرَّةٍ سوداء. وبه عُبَيْلاتٌ بِيضٌ تُطيفُ بها العربُ في جاهليَّتِهم، ويَنْحرون عندها... فقال الدكتور عَزَّام: فلننظُرْ تصديقَ هذا! هذه أرضٌ مستوية، وهذه الحَرَّةُ تطلعُ الشمسُ عليها، أعني أنها شرقيُّ المكان. قال هو (أي ابنُ بليهد)، وبَدَويٌّ كان معنا: وهذه الحَرَّةُ تُسمَّى الخَلَصَ... والعُبَيْلات البِيضُ قد رأيناها في طريقنا متفرقةً، وسنراها..»[1]، والغريبُ أن الدكتور عزام لم يُحقِّقِ النصَّ الذي عَزاهُ ابنُ بُليهد إلى عزَّام السُّلَمي بل قال في حاشيةٍ له: «يُنظَر كتابُ جبالِ تهامة لعزَّام»[2]، وكأنه لم يطَّلع بنفسه عليه!

---

(١) موقع عكاظ: ٢٠ ـ ٢١.

(٢) المرجع نفسه: ٢١/ الحاشية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقرن المنازل ستةُ أميال[1]، فيكون موقعُها بذلك شمالَ الطائف، ولعله يكون أيضاً إلى الغرب والشمال من موقع عكاظ، ولكنها اليومَ باتتْ مجهولةً بعدما خربت. وقد ذكر الهمداني أن سَراةَ الطائف، غَوْرُها مَكةُ، ونجْدُها دِيارُ هَوازِنَ من عكاظٍ والفُتُق[2]. وقيل كذلك إنه كان بجنب عكاظ وادٍ عريضٌ، من بلاد قيس بن عيلان، يُقال له رَحْرَحَان، وقع فيه يومان من أيام العرب، ولم يَعُدِ اليوم معروفاً[3]. وذكر ياقوت أن موضعَ «كلاخ» قريبٌ من عكاظ[4]، وهو قريةٌ بها مَزارعُ، تقع شمالَ وادي بَسْل، ما تزال معروفةً[5].

* * *

ويُضَافُ هنا أيضاً ما نقله الجاسِرُ وعزَّامٌ وابنُ بُليهد، في موقع عكاظ، عن صفة جزيرة العرب للهمداني، وقد أثْبَتَ في كتابه أُرْجُوزةً، ذكر فيها صاحبُها عيسى بنُ أحمد الرِدَاعيُّ اليمانيُّ، المواضعَ التي مرَّ بها تِباعاً، في طريقه من صنعاء إلى مكة للحجِّ[6]... على أن هنالك طريقين من اليمن إلى مكة، أحَدُهما تهاميٌّ، يأخذُ على ساحل البحر الأحمر، وهو أَطْولُ مسافةً، والآخَرُ يأخذُ على صنعاءَ، فصَعْدَة، فنجْرانَ[7]، فبِيشَة، فتَبالَة، فتُرَبَة، فأَوْقَح، فكلاخ، فجِلْدان، فعكاظ، أو الطائف، فرأس المناقب، فقَرْن المنازل أي السيْل الكبير، وينتهي إلى مكة[8]. وهذا الطريق هو الذي سلكهُ

---

(١) موقع عكاظ: ٤٤ ـ ٤٦، ٦٧.

(٢) المرجع نفسه: ٤٩.

(٣) أبو الفضل الميداني ـ مجمع الأمثال: ٢/ ٥٢٠، ولسان العرب: ٢/ ٤٤٧ (رحح).

(٤) معجم البلدان: ٤/ ٤٧٤.

(٥) موقع عكاظ: ٦٥.

(٦) المرجع نفسه: ٢٣ ـ ٢٧، ٣٣ ـ ٣٤، ٥٨ ـ ٥٩.

(٧) معجم البلدان: ٥/ ١٨٧.

(٨) موقع عكاظ: ٥٥ ـ ٥٦.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صاحبُ الأُرْجُوزَة، ويبدو من نَسَقِ المواضع، التي جَعَلَ يذكرُها في أبياته، أن موقع عكاظٍ إنما هو في مُحيط الطائف، قريبٌ منه، وقبل السَّيْل الكبير، في طريق الذاهب إلى مكة. وسنذكرُ، فيما يلي، موضعَ الشاهِدِ فقط من أبيات الأُرْجُوزة، وذلك بعد خروج الراجز من «تُرَبَة»، ووصوله إلى «أَوْقَح» حيث قال يخاطبُ أولاً ناقَتَهُ، ثم زوجتَه هِنْداً:

قلتُ لها في مُطْلَخِمٍّ طاخِ ... «بأوْقَحٍ» ذي المنهل الوضَّاخِ[1]
يا ناقُ هَمَّ الشهرُ بانْسِلاخِ ... فأزْمِعي بالجِدِّ، لا التراخي[2]
فانْتَهضَتْ بمُشْرِفٍ شَمَّاخِ ... قاربةً للوِرْدِ من «كَلاخِ»[3]
يا هندُ لو أبصرتِ عن عِيَانِ ... قَلائِصاً يُوضِعْنَ في «جِلْدانِ»[4]
مُشْفِقَةً من زاجرٍ كَظَّاظِ ... مُسْهِلةً للخَبْتِ من «عكاظِ»[5]
تاركةً «قُرّانَ للمَنَاقِبِ» ... و «شَرِباً» في جُنْحِ ليلٍ واقِبِ[6]
واستبدلتْ بالخوف دارَ الأمنِ ... وجاءتِ الميقاتَ «وادي قَرْنِ»[7]

ومن الواضح أن الرجل ترك مَنْهلَ «أَوْقح» إلى «كلاخ»، ثم إلى «جِلْدان»، ثم نزل إلى «عكاظ» فاجتاز فيها «شَرِباً وقُرَّانَ» إلى «المناقب»، ثم

---

(١) **المُطلَخِمُّ**: الشديد. **الطاخي**: الليلُ المظلم. **الوضَّاخ**: الممتلىء.

(٢) **انْسَلَخ الشهر**: مضى ولعلَّه أراد شهر ذي القعدة. **الزِّمَاعُ**: المَضَاءُ في الأمر والعزمُ عليه.

(٣) **المُشْرِف**: العالي. **الشمَّاخ**: المتكَبِّرُ أو المرتفِعُ.

(٤) **القَلائِصُ**: الإبلُ الشابَّةُ الطويلة القوائم، مُفْردها: قَلُوص. **أَوْضَعَ البعيرُ**: أسرع في سيره، ويُوضِعْن: يُسْرِعن.

(٥) **الزاجِرُ**: السائق والدافع. **الكَظَّاظُ**: المغْتَاظُ أشدَّ الغيظ. **مُسْهِلَةً**: نازلةً من الجبل إلى السهل. **الخَبْتُ**: الأرضُ الواسعةُ المطمئِنَّةُ (وهو وصف لأرض عكاظ).

(٦) **الواقِبُ**: المُظْلم.

(٧) **الميقات**: حدودُ الحَرَم، حيث يُحْرِمُ الحاجُّ.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إلى وادي «قَرْن» في السيل الكبير، أي «قرن المنازل»... ويبدو من بقية الأُرْجُوزَة أنه تابَعَ طريقه بعدئذٍ إلى مكة، سالِكاً وادي نخلة من طريق البَوْبَاة، وهي البُهَيْتَاء، ويقالُ لها: البُهَيْتَة، فالزَّيْمَة، فسَبُوحَة، فمنهل حنين، فالشرائع، فمكة المكرَّمة.

والمتقدمون الذين قالوا إن سوق عكاظ تقعُ على الطريق بين وادي نخلة والطائف، للمسافر من مكة إلى اليمن، أرادوا هذا الطريق، وهو الذي سلَكتْهُ قريشٌ في أول يومٍ من الفِجَار الأخير، وسُمِّي يومَ نخلة[1]، وذلك لمّا جاءَها في عكاظ مقتلُ سيِّدِ هوازِنَ عُرْوَة بنِ عُتْبَة الكِلاَبيّ، بيد حلِيفها البرَّاضِ بنِ قيسٍ الكِنَانيّ، فقد خَشِيَتِ انْدِلاعَ الحربِ بينها وبين قبائل هوازِنَ، وهم أصحابُ السوق، وأهلُ تلك البلادِ من «تَبَالَة»[2] إلى حدود «نَخْلة»[3] فاحتالتْ بخُدْعةٍ على سادة هوازن، وارتحلتْ من السوق مع الفجر، فاجتازت وادي شَرِب إلى قرن المنازل، قاصدةً نَخْلة اليمانية... وكان الخبرُ أتَىٰ هوازِنَ آخرَ النهار[4]، بعد ارتحال قريش، فركبوا في طلبهم حتى أدركوهم بنخلة[5]. فاقْتَتَلوا قتالاً يسيراً، حتى دخلت قريشٌ حدودَ

---

(١) موقع عكاظ: ٤٥.

(٢) تَبالة: قريةٌ من تهامة الحجاز، تقع بعد «بيشة»، وهي قريةٌ من جهة اليمن، غنَّاءُ، في وادٍ كثير الأهل، وبينهما أربعة وعشرون ميلاً، ويقعُ بعد بيشة مَوْضعُ «تُرَبَة»، وهو وادٍ على أربع ليالٍ من الطائف، يسكنه بنو عامر من هوازن. (معجم البلدان: ١/ ٥٢٩، و ٢/ ٩، و ٢/ ٢١، وتاج العروس: ٢/ ٦٨ ـ ٦٩ ترب).

(٣) موقع عكاظ: ٥٤ ـ ٥٥ و ٥٨.

(٤) أيام العرب في الجاهلية: ٣٣٠.

(٥) الكامل: ١/ ٥٩٢.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يُتَّخذُ من الدقيق والماء أو اللبن، أغْلَظُ من الحَسَاءِ، وأرَقُّ من العَصِيدة، يُؤكل في شِدَّة الزمن، وغلاءِ السعر، وعَجفِ المال، وكانت قريشٌ تُكْثِرِ من أكلها، فعُيِّرتْ بها حتى سُمُّوا سَخِينةً[1]. . .

أما سائرُ المواضِع التي مَرَّ بها الراجِزُ فأكثَرُها ما يزال معروفاً، ولكننا نَجتَزِىءُ بما يعنينا أمرُه، **فأَوْقَحُ** موضعٌ به مَنْهلُ ماءٍ عَذْبٍ، يقعُ إلى الشرق من وادي كلاخ، بَعْد جبل عُنٍّ إلى غَربه. **وكلاخُ**، كما ذكرنا، وادٍ قريبٌ من عكاظ، فيه قريةٌ ومَزَارِعُ، ماؤه ثقيلٌ ملحٌ[2]، يقع إلى الشمال والشرق من بَسْل. **وبَسْلُ** من أوْدِيَة الطائف، جنوبُه لبني فَهْم بن عمرو، وشمالُه لبني نصر بن معاوية، وكلاهما من قبائل قيس بن عيلان، وبين بَسْل ووادي لِيَّة بلدٌ يُسمَّىٰ **جِلْدَان**[3]، مَوقعُه إلى الشمال من كلاخ، وهو في أرضٍ سهلةٍ، مُتَّصلةٍ بسهل **رُكْبَة**[4]، وفيها هضبةٌ سوداءُ، كانت تُسمَّىٰ «بَتَعَة»، وكانوا يُعَظمونها[5]، ويُسَمُّونها اليومَ: **حَلاَةَ جِلْدان**[6]، وهي من منازل بني نصر بن معاوية[7]. أمّا «**لِيَّة**» فوادٍ من نواحي الطائف[8]، إلى شرقها، وهو من منازل بني نصر بن معاوية، وقيل: إن جنوبه لبني ثقيف، وشماله لبني نصر[9]،

---

(١) لسان العرب: ١٣/ ٢٠٦ (سخن).
(٢) موقع عكاظ: ٢٤، ٣٣، ٥٨.
(٣) معجم البلدان: ١/ ٤٢٣.
(٤) موقع عكاظ: ٦٣.
(٥) معجم البلدان: ١/ ٣٣٥، ٤٢٣، و ٢/ ١٤.
(٦) موقع عكاظ: ٦٣.
(٧) معجم البلدان: ٢/ ١٥٠ ـ ١٥١.
(٨) المرجع نفسه: ٥/ ٣٠.
(٩) موقع عكاظ: ٥٤، والمفصَّل: ٤/ ١٤٢.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهما من هوازن. وبعد جِلْدَانَ، نزلَ الراجزُ إلى **عكاظ** وسَهْلِها الواسِع، واجتاز فيه مواضِعَ **شَرِبٍ وقُرَّانَ** إلى **المناقب**، **ليُقْبِلَ** بعدها على وادي قَرْنٍ، مِيقاتِ الإحْرام، وهو **قَرْنُ المنازل** عند السيل الكبير... وعَدَّ الهمدانيُّ مواضِعَ شَرِبٍ وقُرَّان من أرض عكاظ، يضربُ على مَشْرقها **جبلُ الحَضَنِ**، حَضَنِ عكاظ، وهو على مَسيرةِ يومٍ وبعضِ يوم من هذا الطريق[1]، موقعُه بأعْلا نَجْدٍ، أي في حَدِّها الجنوبي إلى الغرب، ويُقال في المثَل: أَنْجَدَ من رأى حَضَناً[2]، أي بَلَغَ بلادَ نَجْدٍ إذا رآهُ. **وقُرّانُ** وادٍ قُربَ الطائف[3]، ينحدر من الأرض الواقعة بين وادي الحَوِيَّة ووادي السيل الصغير، وهو في غَرْبه، ويلتقي مِن ثَمَّ بوادي العقيق الكبير، ويقعُ وادي قُرَّانَ غربَ عكاظ، يفصِلُ بينهما جبالٌ صغيرة، تمتدُّ من الجنوب الغربي، إلى الشمال الشرقيّ[4]. أما **المنَاقِبُ** فمعلومٌ أنها **الرِّيعَان**[5]، التي يهبط إليها المسافرُ إلى مكة، بعد أن يجتازَ السَّيْلَ الصغير، في طريقه إلى قَرْنِ المنازل[6].

* * *

وأخيراً، إن ما أَجْمَلناهُ من مذاهب القدماء في مَوضِع عكاظ، وما أضَفْناهُ إليها من أقوال بعض الباحثين المتأخرين، ثم ما أثْبَتْناه من بيانٍ للمَعَالم التي كانت تكتَنِفُ مَوْضعَ عكاظ، ومن تَعْيينٍ لمواقِعِها منه، ومَوْقعِه منها... من شأنه مُجْتَمِعاً أن يأتيَ مُصَدِّقاً لمَا ذهب إليه:

---

(١) موقع عكاظ: ٤٩، ٦٣.

(٢) معجم البلدان: ٢/ ٢٧١.

(٣) المرجع نفسه: ٤/ ٣١٨.

(٤) موقع عكاظ: ٦٥.

(٥) الرِّيعَانُ: مفردُها الرِيعُ، وهي الطرُق المنفرجةُ في الجبل.

(٦) موقع عكاظ: ٢٧، ٣٤، ٤٥.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١ ـ معظمُ المؤرِّخين في تَعْيينهم مَوْقعَ عكاظ بين وادي نَخْلة والطائف، على طريق مكة ـ صنعاء، وفي تحديدِهم مَوْضِعَه بالحدِّ الجنوبيّ من نَجْدٍ، في بلاد قَيس بن عَيْلان.

٢ ـ الأزرقيُّ في قوله: «. . . وعكاظ وراءَ قرن المنازل بمرحلة، على طريق صنعاء، في عَمَل الطائف، على بريد منها»[١].

٣ ـ الأَصْمعيُّ في قوله: «عكاظُ نَخْلٌ في وادٍ، بينه وبين الطائف ليلةٌ، وبينه وبين مكة ثلاثُ ليالٍ، وبه كانت تقومُ سوقُ العرب. . .»[٢].

٤ ـ عرَّامُ بنُ الأَصْبَغ في وَصْفِه أرضَ عكاظ بأنها مُسْتَوِيَةٌ، غيرُ وَعرة، ليس بها جبلٌ أو عَلَمٌ، وبأنها قريبةٌ من جبل عُنٍّ[٣].

٥ ـ الهمدانيُّ فيما ذكره من أُرجوزة الرِّدَاعيّ، التي رَسمتْ طريقَ صنعاءَ ـ مكة، وعيَّنَتْ موقعَ عكاظٍ بعد هَضبة جِلْدَان، وقبل المناقب، على التحديد.

ولا أرى مُوجِباً للتوقُّفِ كثيراً عند الفرق، بين تقديرالأزرقي لبُعْدِ عكاظ عن الطائف بِبَريدٍ، أي نحوِ إثني عشر ميلاً، وتقديرِ الأصمعيّ له بليلةٍ، أي نحو أربعة وعشرين ميلاً، وذلك لأمرين:

الأوَّلُ: أن أرضَ عكاظٍ سهلٌ واسعٌ ممتدٌّ، كان يتَّسِعُ لعَدَدٍ من الأُلوف بخِيَامِهم وأنعامهم وسائر بضائعهم، ولم تكن بُقْعةً صغيرةً لِيَسْهُلَ قياسُ بُعْدِها عن الطائف، والطائفُ كذلك لم يكن قريةً صغيرةً منفردةً، بل كان منطقةً واسعةً مُتَراميةَ الأطراف.

---

(١) أخبار مكة: ١/ ١٩٠.

(٢) معجم البلدان: ٤/ ١٤٢.

(٣) أسماء جبال تهامة: ٤٣.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والآخَرُ: إتّفاقُهما معاً في تَقْديرهما للمسافة بين عكاظ وقَرن المنازل بليلةٍ واحدةٍ، صرَّح بها الأزرقيُّ، وكَنَىٰ عنها الأَصمعيُّ، بتقديره المسَافةَ بين مكة وعكاظ بثلاث ليالٍ، ونحن نعلم أن ما بين مكة وقرن المنازل ليلتان، فيكون ما بين قرن المنازل وعكاظ ليلةً واحدةً. أمَّا قولُ الأصمعي بأن عكاظ نَخْلٌ في وادٍ، فقد علمنا أن هذا الوادي هو وادي شَرِبٍ قطعاً، ولا شك في ذلك، والموضعُ بات واضحاً، فَلْنَنظُرْ أين رأى الباحثون المتأخِّرون هذا الموضع...

* * *

(٢) ـ الكشفُ عن موضع عكاظ:

١ ـ نُشِرَ للشيخ العَلاَّمة حمد الجاسِر، سنة (١٩٥٠ م)، تحقيقٌ جيِّد في موضع عكاظ، كان أعَدَّهُ سنة (١٩٤٤ م = ١٣٦٣ هـ). وجعله د. عَزَّام من ضمن كتابه «موقع عكاظ». وقد قدَّم الرجلُ لتحقيقه بالقول: «هذه كلمةٌ، حاولتُ أن أُوضِّح بها موقعَ سوق عكاظ، مُورداً أقوال مُتَقدِّمي المؤرِّخين، وواصِفاً، على ضَوء مُشَاهدتي، المكانَ الذي لا يُخامرني شكٌّ في أنه هو موقعُ ذلك السوق، ومُحاولاً تطبيق تلك الأقوال على أوصاف ذلك المكان...»[١].

وبعد أن تَقَصَّى أقوالَ المتقدمين، قَولاً قَولاً، ولم يَدَعْ منها شيئاً، مع الشرح والتعليق، انتهى إلى أنها في جُملتها، وعلى اختلاف عباراتها، متقاربةٌ في المعنى، متطابقةٌ في الدلالة، وقد لا يوجد للقدماء ما يُخالفها[٢]... ثم ذكر أن تلك الأقوال تَتلخَّصُ بأن موقع عكاظ:

---

(١) موقع عكاظ: ٤٣.

(٢) المرجع نفسه: ٥٣.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- كان في أعْلَى نَجْد، وليس في تهامة، أو الحجاز، أو اليمن.
- وأنه في بلاد بعض قبائل قيس بن عيلان من مُضَر.
- وأنه على طريق اليمن من مكة، بين المناقب وكلاخ.. أي وراء قرن المنازل.
- وأنه يبعد عن الطائف مسافةً، اختلف المتقدِّمُون في تقديرها، بين عشرة أميال أو اثنَيْ عَشَرَ ميلاً، ومَسيرةِ يومٍ، أي نحو أربعةٍ وعشرين ميلاً، ولا يُعَدُّ هذا الاختلافُ جوهرياً، لأن الطائف إسمٌ لا يُطلَق على المدينة وحَسْب، بل وعلى القُرى والأمكنة التابعة لها، مِن حَوْلها.
- وأنه يقعُ في صحراءَ مُسْتَويةٍ، خاليةٍ من الأَعْلام والجبال، سوى صخراتٍ كِبَارٍ، وحُرَيْرةٍ في مَهبِّ الجنوب منه.
- وأنه مُتَّصِلٌ بأرض رُكْبَةَ، ويقع جبلُ حَضَنٍ في مَشْرقه، على مسافة يومٍ وبعضِ يوم، ووادي قُرَّانَ في مَغْربه، بقُرْبه.
- وأن من أَوْديته وادي شَرِب[1]...

وانتهى الشيخ من هذه الخُلاصة إلى القول: «إن جميع الأوصاف المُتَقدِّمةِ، تنطبق انطباقاً تامّاً، على الأرض الواسعة، الواقعةِ شَرْقَ الطائف، بمَيْلٍ نحو الشمال، خارجَ سلسلة الجبال المُطِيفَةِ به. وتبعدُ تلك الأرضُ عن الطائف نحو اثنين وعشرين ميلاً تقريباً. **ويَحُدُّها من الغرب**: جبالُ بلادِ بني عَدْوان في العَقْربِ وشَرِبٍ والعُبَيْلاء[2]. **ومن الجنوب**: أبْرَقُ العُبَيْلاء[3]،

---

(١) موقع عكاظ: ٥٤ ـ ٦١.

(٢) العَقْربُ وشَرِبٌ والعُبَيلاءُ: كانت في الجاهلية، وما تزال حتى اليوم لبني عَدْوان بنِ عمرو بن قيس عيلان. وتقع قريةُ شَرِبٍ على ميل واحدٍ من الحَوِيَّة.

(٣) الأبرق: الأرض الغليظةُ فيها حجارةٌ ورمل وطين.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وضِلَعُ الخَلَص[1]. **ومن الشرق**: صحراءُ رُكْبَة. **ومن الشمال**: طرَفُ رُكْبَة، والجبالُ الواقعةُ شرقَ وادي قُرَّان... **وتشملُ هذه الأرضُ**: **وادي الأُخَيْضِر، ووادي شَرِب**، عندما يَخرُجان من الجبال ويَفِيضَانِ في الصحراء، وما بينهما من الأرض، وما اتصل بها من طَرفِ رُكْبة»[2].

ثم أشار الجاسِرُ إلى المواضع الواقعةِ قربَ عكاظ، التي يُستدلُّ بها على مَوضعه، فذكر أن منها ما يزال معروفاً باسمه حتى اليوم، مثل: بُسّ، وجلدان، وحَضَن، ورُكبة، وشَرِب، والعَبلاء، وعُنّ، وقُرّان، وكلاخ، وضِلَع الخَلَص (الحريرة)، والعَقْرب، والأُخَيضِر، وغيرِها... ومنها ما صار مجهولاً، مثل: الأُثَيْداء، وشَمْطة، وبَقْعاء، والخُدود، والفُتق والقفا[3]... لكنَّ ما عرَّفهُ منها كان كافياً للتحقيق، الذي جَعله أوَّلَ مَن اكتشفَ موضعَ عكاظ، وعَيَّن حُدودَهُ ومَعَالِمَهُ، وأَثْبتَ ذلك بالأَدلَّة القاطعة، والبراهين الساطعة، وإن كان بعضُ الباحثين ممَّن جاؤوا أخيراً، ذهبوا مذاهبَ مخالفةً.

* * *

٢ ـ ويبدو أن تحقيق الشيخ الجاسِر، كان إرْهاصاً لتحقيقٍ آخَرَ، قام به العالمُ النجديُّ محمد بن بُليهد مرَّتَين، في الموضعِ عَيْنِه، عند مَجْمع الوادِيَيْن: شَرِبٍ والأُخَيْضِر، المرةُ الأولى كانت نحو سنة (١٩٤٩ م)، في صُحْبة المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز، وكان ما يزال أميراً، والثانية كانت سنة (١٩٥٠ م)، وقد صَحِبَهُ فيها عبدُ الوهاب عزَّام، وهو ما يُفهم من كلام الأخير حيث قال: «... وقد أخبرني منذ أشهُرٍ، الصديقُ الأديبُ

---

(١) ضِلَع الخَلَص: الحُريرة.

(٢) موقع عكاظ: ٦٢.

(٣) المرجع نفسه: ٦٢ ـ ٦٧.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الهاشميات[1]، وهو:

أهل الحنيفةِ، فاسْأَلْ عن مَكانِهُمُ بالمَوْقِفيْن، ومُلْقَىٰ الرَّحْلِ من شَرِبِ

ومُلْقَىٰ الرَّحْلِ من شَرِبٍ كنايةٌ عن الموضع، الذي كانت تُلْقَى فيه الرِحَالُ، من وادي شَرِب، وهو سوقُ عكاظ. ذكر ذلك لابْنِ بليهد مُعَلِّمُه الشيخُ ابنُ عيسى، وهو إبراهيمُ بنُ صالح[2]، المؤرِّخُ النجديُّ، وكان وَجَدهُ في كتاب مخطوطٍ، بإحدى مكتبات البصرة، يتحدَّث عن أخبار نجْدٍ وجبالها ومياهها، وفيه أن شَرِباً والأُخَيْضِرَ وادِيَان قُرْبَ الطائف، يَنصَبَّان من الغرب إلى الشرق، وعكاظٌ مَجْمَعُ الواديين[3].

وعلى ذلك، خَلُص ابنُ بُلَيهد إلى أن **موضعَ عكاظ هو مَجْمعُ الواديين: شَرِبٍ والأُخَيضِر**، يَحدُّهُ من الشرق نبعُ ماءٍ يُسمَّى المبعوث، ومن الغرب، على مسافة اثنَيْ عَشَرَ كِيلاً منه، مطارُ الحَوِيَّة[4].

* * *

وأما عبد الوهاب عزَّام، فارْتَحل إلى مَوْضع عكاظ، عند مَجْمع الوادِيَيْن، لِمُعَايَنَةِ المعالم الجغرافية للموضع، والمطابقة بينها وبين ما ذُكر عنها في أقوال المؤرِّخين... فوقف على الحُرَيْرة، المعروفةِ اليومَ بِحَرَّةِ الخَلَص، ونظر إلى أقصى الجنوب، فرأى هضبةَ جلدان، وتُسمَّى اليومَ حَلاةَ

---

(١) موقع عكاظ: ٣٢.

(٢) **إبراهيم بن صالح بن إبراهيم**: (١٢٧٠ ـ ١٣٤٣ هـ = ١٨٥٤ ـ ١٩٢٥ م). وُلد في بلدة أُشَيْقِر، بإقليم الوشم من نَجْد، وتعلَّم فيها. رحَل إلى الهند والأحْسَاء والبصرة وغيرها، ثم استقرَّ في بلدته، يُقْرِئُ العلم، ويُدوِّن الأخبار. توفي في عُنَيْزة بالقَصِيم.

(٣) موقع عكاظ: ٣٧ ـ ٣٨.

(٤) المرجع نفسه: ٣١، ٣٢.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القولِ بأن شَرِباً في عكاظ[1]، مع أن الرجُلَ لم يقل ذلك[2]، بل قاله غيره. وكنَّا عَرَضْنا كثيراً من مشاهداته، وناقشنا بعضَها، في حديثنا عن مذاهب المؤرخين في موضع عكاظ، وأخذنا عليه في تَعيينه موقعَ الحُرَيْرة بشرقِ عكاظ، استنادَهُ إلى نصٍّ غيرِ موجودٍ أصلاً في كتاب عرَّام السُّلَمي.

* * *

٣ ـ ثم عَلَّق الأستاذ رشدي مَلْحَس، سنة (١٩٦٥ م)، في تحقيقه كتابَ أخبار مكة للأزرقي، على موقع عكاظ فقال في الحاشية: «عكاظ بالقُرب من نواحي رُكْبَة، إلى جهات الطائف»[3]، فأنْهَى بذلك كلَّ خلاف، وقطع كلَّ شكٍّ، وهو مُحقِّق جغرافيٌّ جيّدٌ، حقَّق كثيراً من الأمكنة والمنازل التاريخية في جزيرة العرب، أثناء إقامةٍ بالديوان الملكيّ السعوديّ، استمرَّتْ زهاءَ ثلاثين عاماً[4].

ولعلّ من المفيد أن أُشِيرَ هنا إلى تعليقٍ آخَر للسيد مَلْحَس، ذكر فيه أن مدينة الطائف تبعُدُ اليومَ عن مكة، مئةً وسبعةً وثلاثين كِيلاً، للسيارات، بطريق السَّيْل الكبير[5]، أي قرن المنازل. ونظرتُ فوجدتُ هذا القَدْرَ يساوي نحوَ خمسةٍ وثمانين ميلاً، وهو قريبٌ جداً من تقدير المؤرِّخين المتقدِّمين للمسافة من مكة إلى عكاظ، ومنه إلى الطائف. مع العلم بأن طريق السيارات أقصَرُ، لأنه ينحرف بعد المناقب يميناً، ويتَّجهُ مباشرةً إلى الطائف، بينما

---

(١) موقع عكاظ: ٢١.

(٢) معجم البلدان: ٣/ ٣٣٢.

(٣) أخبار مكة: ١/ ١٨٧، الحاشية رقم ٩.

(٤) خير الدين الزركلي ـ الأعلام: ٣/ ٢١.

(٥) أخبار مكة: ٢/ ١٥٧، الحاشية رقم ٦.

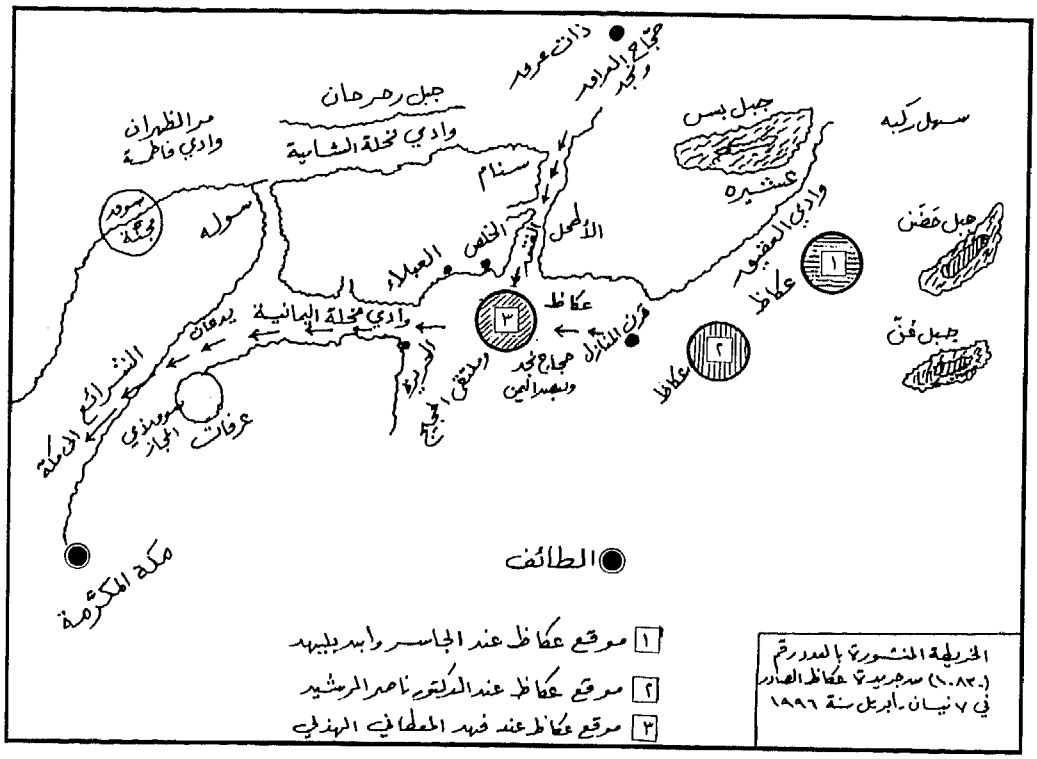

وقد بادر صاحبُ السُّمُوِّ الملكيّ الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية، فألَّف لجنةً من الأدباء والخبراء، وكلَّفها العملَ على تحديد هذا الموقع، وتسليم موضعه إلى إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف. وقد اجتمعت اللجنةُ في المدَّة من (٢٢/ ٢/ ١٤١٧) حتى (٥/ ٣/ ١٤١٧ هـ=١٩٩٦ م)، وعكفت على دراسة مختلف الآراء، والخرائط المُعدَّة من قبل بعض الباحثين، والكتُب المصنَّفة في هذا الموضوع قديماً وحديثاً، ثم انتقلت إلى المكان، وعاينت فيه المعالم والآثار الباقية، ثم رجَّحتْ الموضعَ الواقعَ شمالَ شرقِ الطائف على خمسة وأربعين كيلاً، والمُحدَّد: **بالأُثَيْداء** من الجنوب الغربي، **والعبلاءِ** من الجنوب الشرقي، **والحُرَيْرة** من الشمال الشرقي، **ووادي الأُخَيْضِر** من الغرب. وقد اعتمد سموُّ الأمير نايف بن عبد العزيز، حَفِظه الله، هذا الترجيح، والخريطةَ التي رُسمت للموقع، وتمَّ تسليم الموضع إلى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من عكاظ، وأن تكتشفَ فُجاءَةً موضعَ الأُثَيداء في الجنوب الغربي من عكاظ.

ويبدو لي أن هذا هو مذهب الأستاذ عبد الله محمد الشايع، غَلَب على توجُّه اللجنة، وهو أحدُ أعضائها، قرأتُه له في جريدة عكاظ[1]، وعلَّقْتُ عليه يومئذٍ بالتعليق المناسب[2]. فقد انطلق فيه من ظنِّه بأن «**الحُرَيْرة**» هي الحدُّ الشماليُّ للسوق، وبأن «**الأُثَيْداءَ**» مُصَغَّرُ «الأَثْداء»، وبأن الأثداءَ جمعُ «ثَدْي»! وكان ذهب إلى المكان ليكتشفَ الموقع، فشاهد في بعض أجزائه من جهة الغرب: «نُتوءاتٍ بارزةً، لعلَّ العرب القدماء شبَّهوها بالثَّدي، فسَمُّوا الهُضَيْبةَ بالأُثَيْداء»، وقال في موضع آخر: «وعندما وقفتُ في وسط الأرض المستوية، نظرتُ ذات اليمين وذات اليسار عسى أن أرى جُبيلاً متميِّزاً، وفي ناحية الشرق شاهدتُ أَكمتَيْن مُتقاربتيْن، خُيِّل لي أنهما على شكل ثَدْيين»، وخوفَ الوقوع في غلط تحوَّل بنظره إلى جهة الغرب[3].

وكان خلاصة تعليقي عليه أنه أقام استنتاجه على الوهم، فإذا جاز أن نغلطَ اليوم في النحو والصرف، فإن عرب الجاهلية لا يمكن أن يكونوا كذلك. وإذا رجعنا إلى معاجم اللغة وجدنا أن الثديَ يُجمع على: **أَثْدٍ وثُدِيّ وثِدِيّ**، وليس على أثداء، ويُصغَّر على: **ثُدَيَّة**... وعلى ذلك يكون استنتاجُه بدلالة المعنى الذي تَوهَّمه وحَمَله على اللفظ غلطاً!

ومن الجائز أن تكون الأُثَيْداءُ تصغيراً للأثآد جمع الثَّـأَدِ، بنقل الهمزة إلى أوَّله **والثَّأَدُ**: الثَرى والنَدى، **والأَثْآدُ**: البَلَلُ، وربما كان أصلُ الكلمة **الأَثْآد**، فصارت بالقلب الأَثْداء، ودلالتُها على الندى والبَلَل والثرى أبْيَنُ لموضع السوق من نتوءاتٍ صغيرة تُشبه الثدي.

---

(١) جريدة عكاظ ـ الملحق الثقافي بالعدد رقم (١٠٦٢٧) في ١٧/٩/١٩٩٥.

(٢) جريدة عكاظ ـ الملحق الثقافي بالعدد رقم (١٠٦٥٢) في ١٢/١٠/١٩٩٥.

(٣) المرجع.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خلاصةُ الأمر أن اللجنة خطَتْ خطوةً، نرجو أن تكون قد أفلحتْ فيها، وأن تُؤدِّي إلى اكتشاف الحقِّ في حدود عكاظ، ومن الواضح أنها اتجهت بالموقع جنوباً، وكان من حقِّه أن ينطلق شمالاً، وأن يتصل بسهل رُكبة، ومُلْتقَى وادِييْ شَرِب والأُخَيْضِر، وربما بجبَل حَضَن الذي كان يُسمَّى حَضَنَ عكاظ...

* * *

③ ـ آراءُ بعض الباحثين السابقين في موضع عكاظ:

جَرتْ، في العصر الحديث، عِدَّةُ محاولات للكشْفِ عن موضع عكاظ، وبيان مَوقعِه من الأَرضِين، التي ما انفكَّتْ أسماؤها تُذكرُ، كلما ذُكر اسمُ عكاظ... وكان للباحثين في ذلك كلامٌ كثيرٌ، وآراءُ مختلفةٌ، منها أن عكاظاً كان يقع في السَّيْل الكبير عند قَرْنِ المنازل، ومنها أنه في موضع السَّيْل الصغير، بين المناقب والطائف، ومنها أنه بِسَهْلِ رُكْبة، في شمالِهِ المتَّصلِ بِوادي عُشَيْرة، ومنها أنه بِوادي عَقْرب، في شرق الطائف، بعد قليل من أم الحمض[1]... وهي آراء علَّق عليها الشيخُ الجاسِرُ بأنها جانَفتِ الصوابَ، وخالَفتِ الحقَّ، فلم يُكلِّفْ نفسَه عنَاء مناقشتها، أو بيانَ ما فيها من جَنَفٍ، أو باطلٍ، أو غلطٍ، تَظهر جَليَّةً إذا قُورنت بأقوال المتقدمين[2].

على أننا سنعرضُ هنا، باختصار، آراءَ بعضِ أولئك الباحثين، ولا سيما الذين ارتحلوا إلى جزيرة العرب، بحثاً عن موضع عكاظ.

١ ـ رأي الأستاذ خير الدين الزِركلي:

كانت له رحلة من دمشق إلى مكة، سنة (١٩٢٠ م)، رأى فيها أشياءَ،

---

(١) د. محمد حسين هيكل ـ في منزل الوحي: ٣٦٤.

(٢) موقع عكاظ: ٤٣.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وسمع أخباراً وروايات، فكتب سنة (١٩٢٣ م) يقول: «. . . على مرحلتين من مكة، للذاهب إلى الطائف في طريق السَّيْل، يميلُ قاصِدُ عكاظ نحو اليمين، فيسيرُ نحوَ نصف الساعة، فإذا هو أمام نهرٍ، في باحة واسعة الجوانب، يُسَمُّونَها: القانس (بالقاف المعقودة)، وهي موضع سوق عكاظ. . . وهذه الباحة هي مجتمعُ الطُرق إلى اليمن والعراق ومكة، وهي مرتفعةٌ، تُشْرف على جبال اليمن. . . والواقفُ فيها يرى على مَقْربةٍ منه موضعين مرتفعين، أحدُهما يُسمَّى: الدِّمَّة (بكسْرٍ ففتح)[١]، والآخَرُ: البُهيْتَة (بصيغة التصغير)، وعكاظُ هو الفاصِلُ بين الدِّمَّة والوادي الموصِل إلى الطريق، التي يمرُّ بها سَالِكُو دَرْب السَّيْل (أي درب اليمانية)[٢]. . . ثم قال بعدئذٍ: وسمعتُ كثيراً من أهل الطائف يقولون: إن عكاظاً كان في مكانٍ، يُعرف اليوم باسم القَهاوي، في وادي لِيَّة من الطائف، غير أن الشيُوعَ يُؤيِّدُ ما قلناه آنفاً، من أنه هو القانِسُ نفسُه، وعليه أكثرُ العارفين من أهل هذه الديار»[٣].

ويبدو أن الزِرْكليَّ أُتيَ في رأيه من اعتقاده بأن مَوْضعَ عكاظ على مرحلتين من مكة، فَفَتَّش عنه في منطقة السَّيْل الكبير، وذلك غلطٌ منه، لأن المتقدِّمين قالوا إنه على ثلاث مَراحِلَ من مكة[٤]، أي بعد السيل الكبير بنحو مرحلة، وليس عنده! ثم إن «القانس» الذي ظنَّه موضعَ عكاظ، لا يَمُتُّ بصلةٍ إلى ما جاء في أقوال المتقدمين عن المعالم المتَّصِلةِ بأرض عكاظ.

* * *

(١) الدِّمَّةُ: لعلها تصحيف لكلمة الزَّيْمة، وهي كما قلنا آنفاً أولُ درب اليمانية إلى البُهَيْتَة.

(٢) دربُ اليمانية: هو الطريق إلى السَّيْل الكبير، والمسافةُ بين مكة والزَّيْمة تقاربُ ما بين الزيمة والسَّيْل الكبير، أي قرن المنازل.

(٣) ما رأيتُ وما سمعت: ٧٩.

(٤) معجم البلدان: ٤/ ١٤٢.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢ ـ رأي الدكتور محمد حسين هيكل:

ارتحل إلى مكة للحجّ، ثم زار الطائف، وفكَّر في القيام ببعض البحث، أثناء عَوْدِهِ منها، لعله يهتدي إلى شيءٍ تطمئِنُّ له النفسُ، في تحقيق موضع عكاظ، فزار الأمكنةَ التي زَعَمتِ الرواياتُ المختلفةُ أن عكاظاً كانت تُقام بها، وكتب سنة (١٩٣٧ م) في كتابه «في منزل الوحي»، مُسْتبعِداً أن يكون موضعُ عكاظ بوادي عقرب، شرقَ الطائف، لأنه قريبٌ جداًمن الطائف، وليس مُلْتقىً لطرق القوافل. واسْتَبعدَ أيضاً أن يكون على حدود وادي رُكبة عند اتصاله بوادي عُشَيْرة، لأن العُشَيْرة لا تقعُ بين مكة والطائف، بل على مسافة يومين من الطائف إلى الشمال[١]. واسْتَبعدَ بالتالي أن يكون جنوبَ الطائف بمَيْلٍ إلى الشرق قليلٍ، لأنه لا يكون عندئذٍ بين مكة والطائف[٢]. ولم يستبعد أن يكون بالسَّيْل الصغير، لأنه، كما رآه، صالحٌ لقيام عكاظ به، لكثرةِ مياهه، ولانْفِساح البادية عنده، وهو يقع على مسيرة يومٍ من الطائف، وثلاثةِ أيام من مكة بسَيْر الإبل[٣]. ولكنه رجَّح أن يكون بالسَّيْل الكبير، أو على مَقْرُبةٍ منه، في موضعٍ هنالك يُقال له: الخُرّ، من وادي غَسَلَة، وراء جبل دَمَا[٤]... وليس هذا بصحيح!

وعلى الرغم من أنه أقام تحقيقه، على أساس أن موضعَ عكاظ يجب أن يكون على ثلاثة أيام من مكة، ويومٍ من الطائف، أي أن يكون ما بين مكة وعكاظ ثلاثةَ أمثال ما بين عكاظ والطائف[٥]. لكنه وقع في الغَلَطِ لمَّا حَسِبَ

---

(١) في منزل الوحي: ٣٧٣ ـ ٣٧٤.

(٢) المرجع نفسه: ٣٧٩ ـ ٣٨٠.

(٣) المرجع: ٣٨٠.

(٤) المرجع: ٣٨٠ ـ ٣٨٢.

(٥) المرجع: ٣٧٤.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السَّيْلَ الكبيرَ موضعاً لعكاظ، وهو على يومين فقط من مكة! وإني أعتقد أن العِلَّة في غَلطه تَوهُّمُهُ أن أيام الفِجَار الخمسة كانت كلُّها بعكاظ، وأن قُرَيْشاً فرَّتْ في اليوم الأول من عكاظ، فوصلت في سُوَيْعاتٍ إلى موضع نخلة، على حُدود الحَرَم المكّيّ، فاحْتَمتْ به من هوازن[1]. والواقع أن أول أيام الفجار لم يكن بعكاظ، بل في مَوضع نخلة، وأن المسافة بينه وبين عكاظ يومٌ وليلة، أي مرحلتانِ، أو نحوُ ثمانية وأربعين ميلاً.

* * *

وأخيراً، إن للدكتور هيكل مذهباً غريباً في موقع عكاظ قال فيه: «... وأوَّلُ ما وقفتُ عنده أن عكاظاً تختلفُ بموقعِها عن مجنَّة وذي المجاز، فهي تقع في الآفاق من مكة، في حين تقعُ مجنَّة وذو المجاز منها في حدود مواقيت الإحْرام. مِن ثَمَّ كان يُبَاحُ بعُكاظ، ما لم يكن يُباح بمجنَّة وذي المجاز، من ألوان اللهو والمجُون، ومن ضُروب التجارة والتبادل. هذا إلى أن ذا القعدة الذي كانت عكاظ تُعقَد فيه، لم يكن له من الحُرْمَةِ ما كان لذي الحجَّة شهرِ المناسك»[2]... وهو مذهب غير صحيح!

وكيف لا يكون لذي القَعْدة من الحُرْمَة ما كان لذي الحَجَّة، وهو من الشُهور المحرَّمة، ومن شهور الحجِّ، وإنما سُمِّيَت حربُ قريشٍ وهوازِنَ بعُكاظٍ حربَ الفِجَار، لأنها وقعت في ذي القعدة، فعُدَّ فِعْلُهم فُجوراً؟ وأمَّا أن يُبَاح بعكاظ ما لم يكن يُباح في مجنّة وذي المجاز، فأمرٌ غيرُ دقيق، بل غيرُ صحيحٍ، لأن الأسواق الثلاثة في التجارة واللهوِ والاجتماع سواء، وإنما كانوا يكفُّون عن ذلك في الثامن من ذي الحجة، فكانوا لا يتبايعون في يوم

---

(١) في منزل الوحي: ٣٧٨.

(٢) المرجع نفسه: ٣٦٧.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عَرَفة، ولا أيام مِنًى، حتى أحَلَّ لهم الإسلامُ ذلك[1]. وليس لمواقع الأسواق الثلاثة صلةٌ بما كان يجري فيها من تجارة وغيرها، ثم إن هذه المواقع ليست في حدود الحَرَم، ولا في مواقيت الإحْرام، وإن كانت مجنَّةُ قريبةً من مكة، وذو المجازِ قريباً من عَرَفَة.

* * *

٣ ـ رأي سعيد الأفغاني:

قال: «عكاظ نَخلٌ في وادٍ، بين مكة والطائف، على مرحلتين من مكة، ومرحلة من الطائف، وموقعُها جنوبُ مكة إلى الشرق. هذا زبدةُ ما يُسْتَخلصُ من تعاريفهم المتضاربة في عكاظ...»[2].

وقال: «والظاهِرُ أن ما يُطلق عليه عكاظٌ من الأرض، مُتَّسِعٌ فسيحٌ، فيه حِرَارٌ، وفيه أَرضُونَ مَسْقِيَّةٌ ذاتُ نخيل... ولا شك أن أرضاً اتسعت بعضُ أجزائها لمعاركَ عِدَّةٍ، أرضٌ فسيحةٌ واسعةٌ، وبذلك نفهم كيف كانت السوقُ تَتَنقَّلُ في عكاظ، فلا تُلازِمُ بقعةً واحدةً، لا تَحِيدُ عنها يميناً ولا شمالاً، على مدى السنين المتطاولة»[3].

ثم أشار في الحاشية إلى رأي الزِرْكليّ، من غير أن يُعلِّق عليه، وإلى رأي هيكل، فعَزا إليه ترجيحَهُ أن يكون موضعُ عكاظ جنوبَ الطائف، وجنوبَ شرقِ الطائف، وبالسَّيْل الصغير، وأخيراً بالسَّيْل الكبير! ومذهبُ الأفغاني هذا يعني أنه لم يقرأ كتابَ هيكل قراءةَ مُحقِّقٍ، فالرجلُ كما رأينا انتهى إلى ترجيح السيل الكبير فقط.

---

(١) أخبار مكة: ١/ ١٨٨، وانظر في حدود الحرم ومواقيت الإحرام: ٢/ ١٣٠ ـ ١٣١، ٣٠٩ ـ ٣١٠ من المرجع نفسه.

(٢) أسواق العرب في الجاهلية والإسلام: ٢٨٦.

(٣) المرجع نفسه: ٢٨٨.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثم قال: «وفي شهر رمضان (١٣٧٠ هـ = ١٩٥١ م)، أي بعد صدور الطبعة الأولى من أسواق العرب بأربع عشرة سنةً، نُشِر في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (ص ٣٧٧/ ٢٦) محاولةٌ للسيد حمد الجاسر في تحديد السوق، فإذا به يجعلُها شرقيَّ الطائف، أي ليس على طريق القاصِدِ من مكة إلى الطائف في نحو ثُلُثَيْ الطريق، على ما في تعاريف القدماء. . . ومع ما بذل الجاسِرُ من جُهد، فإن النفس لا تطمئنُّ إلى مذهبه، مع اعترافه بأن أغلب الأعلام التي كانت حول عكاظ لم تعدْ معروفةً اليوم. . . ومع هذا فقد يُوفَّق باحثٌ في المستقبل إلى الصواب المُقْنِع»[١].

ويضيف الأفغاني بعد ذلك قوله: «ولمّا زرتُ الطائفَ بعد أيام الحج سنة (١٣٧٨ هـ = ١٩٥٩ م)، حرصتُ أن أرجع بما يشفي النفسَ، وتَفرَّجْتُ على المسيل[٢]، الذي وصفوه، وسألتُ العارفين، وخرجتُ بصحبة وجيه الطائف السيد محمد صالح نصيف، وعرفتُ منه أن الذي استقرَّ عليه رأيُ الباحث السيد رشدي ملحس، وابنِ بليهد، وسُمّو الأمير فيصل، في عكاظ، أنها مُتَنقِّلةٌ على أرض تمتدُّ من جنوبي العُشَيْرة إلى المسيل الصغير والحاوية[٣]. وأظن جهداً يبذُله الأفاضلُ العارفون من أهل تلك الناحية مُوصلاً إلى الكشف عن موضع عكاظ بما يزيلُ كل رَيْبٍ إن شاء الله»[٤].

من الواضح أن رأي الأفغاني في تحقيق الجاسِر مُرْتَجَلٌ، غيرُ مُسْتَنِدٍ إلى شيءٍ من العلم! فالرجلُ كما رأينا لم يجعل عكاظاً شرقَ الطائف، بل بمَيْلٍ نحو الشمال، وعلى طريق صنعاءَ إلى مكة، كما أكَّد المؤرِّخون. أما

---

(١) أسواق العرب في الجاهلية والإسلام: ٢٨٧.

(٢) المسيلُ غَلَطٌ، وصوابُه السَّيْل، ولكننا لا ندري ما أراد، السيل الكبير أم الصغير!

(٣) أراد السَّيْلَ الصغير، والحَوِيَّة.

(٤) أسواق العرب في الجاهلية والإسلام: ٢٨٧ ـ ٢٨٨.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

④ ـ طبيعة المكان:

تبيَّن لنا مما تقدَّم، أن أرضَ عكاظ سهلٌ واسِعٌ مُطْمئنٌّ، يمتدُّ بين وادِيَيْ شَرِبٍ والأُخَيْضِر، ويتصل في الشمال والشرق بسهل رُكْبَة، وفي الجنوب والغرب بسُفُوح الطائف... ولا شك في أن موقعاً كهذا، كان يُوفِّر له عواملَ طبيعيَّةً طيِّبةً، كالمياه وَفْرةً وعُذوبةً، والهواءِ لِيناً ورَخَاوةً، فضلاً على ما كان يَعْمُرُه من أشجار النخيل، حتى غلبتْ عند المؤرِّخين تسمِيَتُه بأنه ماءٌ في صحراء، أو نخلٌ في وادٍ[1]، دليلاً على ما كان به من المياه والنخيل.

ويدلُّ على سعَتِها اسْتيعابُها للألوف من الناس تأتيها بأنعامها، وتجاراتها، وتضربُ فيها خِيَامها، وتبني قُبَابَها[2]... وإن أرضاً، استوعبتْ بعضُ أجزائها، مَعارِكَ كبرى، لا بُدَّ أن تكون واسعةً فسيحةً، ولا سيما إذا ذكرنا أن تلك المعارك كانوا يحشدون لها حُشوداً، يُعْشِي الناظرين بريقُ أسلحتها! وهذا ما عبَّرتْ عنه خيرَ تعبيرٍ، عاتكةُ بنتُ عبد المطلب تَذُمُّ حربَ الفِجَار بعُكاظ، فقالت:

سائلْ بنا في قومنا ... ولْيَكْفِ من شرٍّ سَماعُهْ
قَيْساً، وما جمعوا لنا ... في مَجْمَعٍ باقٍ شَنَاعُهْ
بعُكاظَ يُعْشِي الناظرين ... إذا هُمُ لَمَحُوا، شُعاعُهْ[3]

---

(١) تاج العروس: ٥/ ٢٥٤ (طبعة مصر)، ومعجم البلدان: ٤/ ١٤٢، ومعجم ما استعجم: ٦٦٠، والأغاني: ٢٢/ ٦٤.

(٢) القُبابُ: مفردُها القُبَّةُ وهي البناء أو البيت من الأَدَم. (تاج العروس: ٣/ ٥١١ ـ قبب).

(٣) ابن هشام الأنصاري ـ شرح شذور الذهب: ٤٢٤/ الشاهد رقم: ٢٢٧ (وشُعاعُه فاعِلُ يُعْشِي).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومَجْمَعٌ يُعْشي شُعاعُه الناظرينَ لا شك في أنه كبير، وأن الأرضَ التي اتَّسَعتْ له كبيرةٌ رَحْبَة.

ولئن كانت قبائلُ العرب لا تجتمعُ إلا على مياهٍ، فإن آثار ما كان متوافراً بأرض عكاظ، من مياه الينابيع والوديان، ما تزال ماثلةً حدَّثنا عنها المحقِّقُون[1].

وأمّا مُنَاخُها، ففيه بعضٌ من مناخ الطائف، على بعضٍ من مناخ سهل ركبة. والطائفُ مشهورةٌ بِثِمارها، وبَرْدِ هوائها، وعُذوبةِ مياهها، وقُرْبُها من سهل عكاظٍ، كان يُوفِّر للناس في المواسم، ما تُنْبتُه أرضُها من التّين والزيتون والأعناب والرمَّان والموز والسفرجل وغير ذلك من الفواكه والثمار[2]. ويُعَدُّ سهلُ عكاظ نَجْداً لِسَرَوَات جبال الطائف. هذا، ويَدُلُّ قولُ أمير المؤمنين عُمر بن الخطاب: «لَبَيْتٌ برُكْبَةَ أَحَبُّ إليَّ من عشرة أبياتٍ بالشام»، على أنها كانت مَوْضِعاً طيِّبَ الهواء، قليلَ الوَباء، جيداً لِطُول البقاء[3]. ويَدُلُّ أيضاً أن موضعَ رُكْبَة كان من مُتَربَّعاتِ العرب في نجد، قولُ الشاعرِ عنترة:

شَطَّ المَزَارُ إذا تَربَّع أَهْلُنا حَضَناً، وأَهْلُكِ ساكنٌ بالغَيْلَمِ[4]

وقد مَرَّ بنا أن جبل حَضَنٍ، في سهلُ رُكْبة، إلى الشرق من عكاظ، وهو أوَّلُ بلاد نجد للقادم من اليمن، وهذا دليلٌ على طبيعة الأرض التي كان

---

(١) موقع عكاظ: ١٩، ٢٨ ـ ٢٩.

(٢) المفصل: ٤/ ١٤٢، وعبد الوهاب عزّام ـ مهد العرب: ٦٣ ـ ٦٤، وفيليب حتي ورفيقاه ـ تاريخ العرب: ١٥٠ ـ ١٥١.

(٣) تاج العروس: ٢/ ٥٣١ (ركب).

(٤) ابن الأنباري ـ شرح القصائد السبع الطِوال الجاهليات: ٣٠٢، والغيْلَمُ: مَوْضِعٌ، أعتقد أنه في ديار عَبْس لأن الشاعر عَبْسيٌّ، ومنزله قريبٌ من منزل أهل حبيبته.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المطلب الثالث ـ أصحاب الأرض والسوق:

يُستَخْلص من أقوال القدماء، أن أرضَ عكاظ، وما اتصل بها، أو جاورها من النواحي والأرضين، إنما هي بعضُ البلاد التي كانت تعيش فوقَها قبائلُ قيس بن عَيْلان، ولا سيما منها بطون هوازن[1]، وأرضُ هوازن في نَجْدٍ مما يلي اليمن، وأرضُ غَطَفان في نجدٍ مما يلي الشام[2]، فكلُّ البلاد من تَبالة إلى نَخْلةٍ هي ديارُ هوازن، فيها من كل بُطونها[3]، وسوقُ عكاظ تقعُ في وَسَطِها، وأصحابُها بنو بكر بن هوازن، ويبدو أن أرضها كانت لأبناء معاوية بن بكر، وكان لبني ثَقيفِ بن مُنبه بن بكر أموالٌ ونخيلٌ فيها[4]. وقد آلَتْ أواخِرَ عصرِ الجاهلية، وأولَ الإسلام، إلى بني نَصْر بن معاوية بن بكر، ثم صارت في القرن الهجري الثالث وأول الرابع من منازل بني هلال بن عامر بن صعصعة. والمعروف أن منازل بني نَصْرٍ كانت وقتئذٍ الأَوْدِيةَ المنحدرةَ من جبال الطائف إلى الشرق والشمال من نَجْد، والمواضِعَ القريبةَ منها، وقد تبلغُ حدودَ النخلتين، عند البَوْباةِ المعروفة اليومَ بالبُهَيتة، قريةِ بني سعد بن بكر، وكثيرٌ منها ما يزال معروفاً باسمه القديم، مثل: رُكبة، وبَسْل، ولِيَّة، وجلدان، وبُسّ، وقُرَّان، والعقيق[5].

والظاهرُ أن بني هلال حَلُّوا فيها أيام قُوَّتهم وانتشارهم، ولمّا هاجروا إلى مصر، ثم إلى المغرب، عاد إليها سكانُها القدماءُ من أبناء عمومتهم، ولا يزالوان بها، ومنهم: الجُشَمَةُ، وهم بنو جُشَم بن معاوية بن بكر، ويُعْرفُون

---

(١) أسواق العرب في الجاهلية والإسلام: ٢٨٨، وموقع عكاظ: ٤٦، ٤٨ ـ ٤٩.

(٢) معجم البلدان: ٣/ ٣٠٢.

(٣) موقع عكاظ: ٢٤ (عن الهمداني في صفة جزيرة العرب).

(٤) أخبار مكة: ١/ ١٩٠، وموقع عكاظ: ٢٥، ٤٨، ٥١ (عن الهمداني والبكري).

(٥) موقع عكاظ: ٥٤ ـ ٥٥.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالجُثَمَة، وعَدْوانُ القبيلةُ القديمةُ المشهورةُ، وهم بنو عَدْوان بن عمرو بن قيس بن عيلان، ومنهم حكيمُ العرب وقاضيهم عامِرُ بن الظرب، والشاعرُ ذو الأُصْبع، حُرْثانُ بن الحارث، ومساكنُهم قريةُ العقربِ بوادي الأُخيضر، وقريةُ العُبَيْلاءِ، وقريةُ الخُضَيْراء على وادي شَرِب قربَ مطار الحَوِيَّة. ومنهم أيضاً: ثقيف، وكانت مساكنُهم شمالَ أَوْديةِ لِيَّة والعَرْج وشَرِب، ثم ارتفعوا إلى أعْلى تلك الأَوْدِية بالطائف، ولا يزالون هنالك[1].

* * *

أصحاب سوق عكاظ من بني هوازن(*)

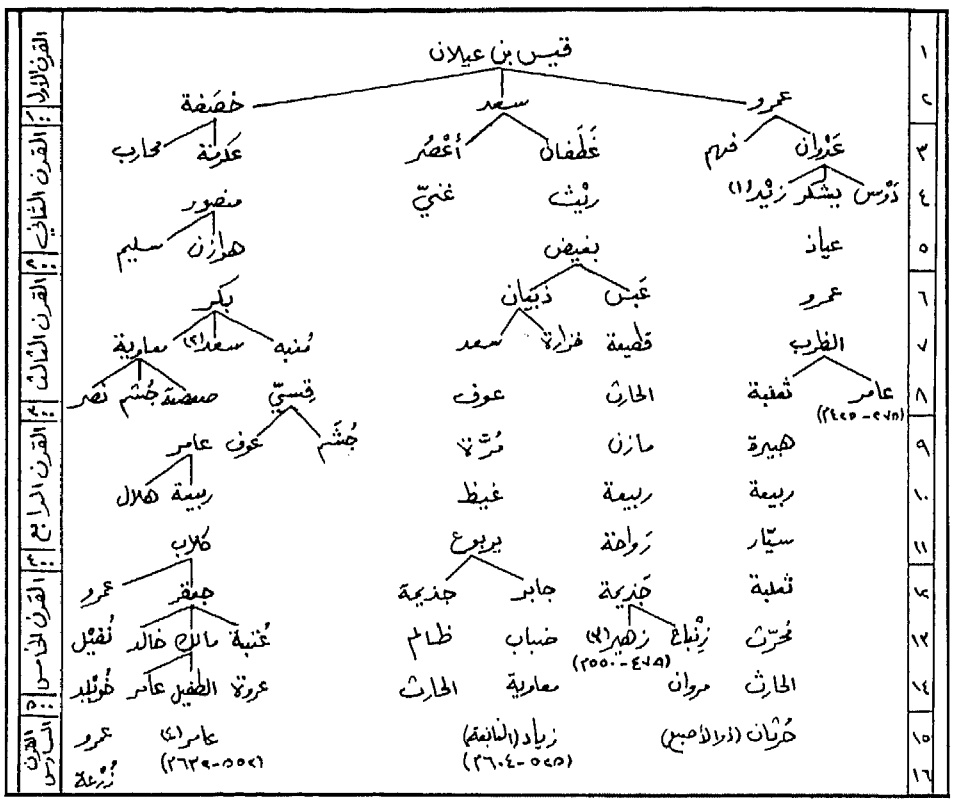

(١) موقع عكاظ: ٦٧ ـ ٦٨.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تموز، وكانت العربُ تقول وقتئذٍ: إذا طَلعتِ الثَّرةُ قَنَأتِ البُسْرَةُ، أي داخَلَ حُمْرتَها سَوادٌ[1]، دليلاً على ابتداءِ نُضْجِها، فالبُسْرُ هو التمرُ إذا لَوَّنَ ولم ينضج، وبرهاناً على أن الزمنَ زمنُ خُروجٍ إلى البوادي والأَرْيافِ والأسواق.

* * *

المطلب الخامس ـ نُزَلاءُ عكاظ ومَنازِلُهم فيه:

يُؤخَذُ من الأخبار الكثيرةِ، المأثُورةِ عن وقائع سوق عكاظ، أنها كانت سوقاً قوميَّةً للعرب جميعاً، يَنزلُها معظمُ قبائلهم، متى كان لهم فيها مَآرِبُ تجارِيَّةٌ، أو اجتماعيَّةٌ، أو أدبيَّة. فكان موسمُها خيرَ فُرصةٍ لاجتماعهم، ومُتاجرتهم، وقضاءِ حاجاتهم المختلفة، استعداداً لقيامهم بشَعَائر الحجِّ، التي كان موسمُها يَلي مواسمَ عكاظ ومجنَّة وذي المجاز، بل ويختلطُ أمرُهُ بأمرها.

على أننا يجب أن نتوقَّف قليلاً عند قول الأزرقي: «... وإنما كان يحضرُ هذه المواسمَ، بعكاظٍ ومجنَّةٍ وذي المجاز، التجارُ، مَن كان يريدُ التجارةَ. ومَن لم يكن له تجارةٌ ولا بيعٌ، فإنه يخرج من أهله متى أراد. ومَن كان من أهل مكةَ، ممن لا يريد التجارة، خرج من مكة يومَ التَّرْوِيَة»[2]... وهذا لا يعني أن تلك المواسمَ كانت حِكْراً على التجارة والتجَّارِ، ممنوعةً ممَّن أراد فيها شيئاً آخَرَ، غيرَ البيع والشراء، إنما يعني أن مَن كان تاجراً، وأراد التجارة، فعليه الذهابُ أولاً إلى أسواق عكاظ ومجنَّة وذي المجاز، التي تسبق مواسمُها موسمَ الحج إلى الكعبة، لأن الجمع بين التجارة والحج

---

(١) لسان العرب: ٥/ ١٩٢ (نثر).

(٢) أخبار مكة: ١/ ١٨٨.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كانت تَزْدحمُ بالناس، وتَضيقُ، على سَعَتِها ورَحْبِها، بمن كان ينزلُها من قوافل التجار، ووُفودِ القبائلِ والمُلوك والأُمَمِ المجاورة، فكان التجارُ في موسمٍ كهذا يُحقِّقُون أرباحاً كثيرةً، لا يَتَأَتَّىٰ لهم مِثلُها إلا في القليل النادر من المناسبات والبلاد. ولمَّا «دخلتْ سنةُ خمسٍ وثلاثين من عام الفيل[1]، وذلك قبل المَبْعَثِ بخمسِ سنين، حضر السوق من قبائل نزار[2] واليمن ما لم يَرَوْا أنه حضر مثلُه في سائر السنين، فباع الناسُ ما كان معهم من إبلٍ وبَقَرٍ ونَقَدٍ[3]، وابتاعُوا أمتعةَ مصر والشام والعراق...»[4]. ويبدو أنه لم يكن في الجاهلية مَجمَعٌ للعربِ أحْفَلُ من عكاظ، فكانوا يضربون بكثرة أهْلِها وزُوَّارِها المثَلَ، ومن ذلكم قولُهم: «... ضربتُه ضَرْبةً لو كانت بأهلِ عكاظٍ قَتَلَتْهم»[5].

ويُفهم من بعض موارد الأخبار أنه كان ينزلُ سوق عكاظ في مواسِمِهِ من قبائل العرب: قريشٌ، وهوازِنُ، وغَطَفانُ، وخُزَاعةُ، وأسْلمُ بنُ أَفْصَى، والأحابيشُ وهم أحياءٌ من كنانة وخُزَيمة وخُزاعة، وطوائفُ من أفناء العرب[6]، إلى جماعاتٍ من سائر العرب، تَقصدُها من اليمن وعُمَان وحضرموت والشِحْر والبحرين وبادية الشام والعراق، عرفنا منها: غسَّان، وكندة، وكلب بن وبرة، والحارث بن كعب، والحَضَارِمة، وعُذْرة... فضلاً عن: بني عامر بن صعصعة، ومُحارب بن خَصَفَة، وفزارة، ومُرَّة، وحنيفة،

---

(١) نحو سنة (٦٠٥ م).

(٢) نزار بن مَعَدّ: جدُّ قبائل عرب الشمال من مُضَر وربيعة وإياد.

(٣) النَقَدُ: الغَنَمُ.

(٤) الأزمنة والأمكنة: ٢/١٦٨.

(٥) أبو علي القالي ـ الأمالي: ٢/٢٥٦.

(٦) المحبَّر: ٢٦٧، والأزمنة والأمكنة: ٢/١٦٥.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شِراءً، دَخَل بعضُهم في بعضٍ، وإذا أرادوا الاجتماع في الأَنْدِية هَبَطوا بطنَ السوق، فالْتَقَى القاصي بالداني، واختلط القريبُ بالغريب، وجرى التمازُجُ بين القبائل في أَبْهى صُوَرِهِ. . . وهذا ما سجَّلهُ الأزرقيُّ بقوله: فإذا كان الحجُّ، خرج الناسُ إلى مواسمهم، فيُصْبِحون بعكاظ يوم هلالِ ذي القعدة، فيُقيمون به عشرين ليلةً، تقومُ فيها أسواقُهم، «والناسُ على مَدَاعِيهم ورايَاتِهم، مُنْحازين في المنازل، تَضْبِطُ كلَّ قبيلةٍ أشرافُها وقادَتُها، ويَدخلُ بعضُهم في بعضٍ للبيع والشراء، ويجتمعون في بطن السوق. . .»[1]، ويُفهم من هذا النصِّ أيضاً أن ضَبْطَ شؤون القبيلة إنما كان بأيدي أشرافها ورؤسائها. . . وقد لخَّص الأمرَكلَّه قولُ أبي ذُؤَيْب الهُذَليّ[2]:

إذا بُنِـي القِبَـابُ علـى عكـاظٍ وقـام البيـعُ، واجتمـع الأُلـوفُ[3]

أي إذا بُنِيَتِ البيوتُ بعكاظ، ورُفعتْ قِبَابُها، وابتدأ البيعُ والشراء، وجَعَلتِ الأُلُوفُ من الناس تجتمعُ في بطن السوق. . . والقِبَابُ بُيوتٌ خاصَّةٌ من الأَدَمِ النفيس، المصبوغِ باللون الأحمر، لها سُقُوفٌ مُسْتديرةٌ مُقَعَّرة. ولم تكن تُبنَى إلا للسَّادَةِ، والأشرافِ، والقُضَاةِ، والأَثْرياءِ. وكانت ممّا يَفخرُ به هؤلاء على الناس جميعاً. وإذا كانت القُبَّةُ لقَاضٍ بعكاظ، رُفعت عليها رايَةٌ خاصَّةٌ به. . . وكانت تُضْربُ للملوك، الذين يحضرون الموسمَ بعُكاظ، مَضَارِبُ فَخْمَةٌ، تليقُ بمنزلتهم، وتُرفعُ عليها راياتُهم، ويُفْرَدُ فيها فِسْطاطٌ

---

(١) أخبار مكة: ١/ ١٨٧ ـ ١٨٨.

(٢) أبو ذُؤَيْب الهُذَليُّ: خُوَيْلدُ بنُ خالد بن مُحرِّث، من بني هذيل بن مدركة، شاعر فحل مُخَضْرَم، أدرك الجاهلية والإسلام، واشترك في الغزو والفتوح، ويُعَدُّ أشعرَ شعراء هُذَيل. أشهَرُ قصائده عَيْنِيَّتُه التي رثى بها أبناءَه الخمسة.

(٣) لسان العرب: ٧/ ٤٤٨ (عكظ).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كبيرٌ للضيوف، يجلسون فيه، ويأكلون، ويَسْمُرون[1]. وكان كلُّ رئيسِ قبيلةٍ عند العرب ملكاً، أي كالملك في قومه. وكانت قُبَّةُ سيِّدِ القبيلةِ، عادةً، كبيرةً، لأنها تكون مُنْتدىً لِشُيوخ القبيلة وأبنائها، يجتمعون فيها للتَّشَاوُرِ والسَّمَر، ويأوي إليها ضُيوفُهم، وجيرانُهم، وذوو الحاجاتِ منهم، أو من غيرهم. وفيها قسمٌ خاصٌّ بالنساء، وآخَرُ خاصٌّ بالخَدَم... وأما سائرُ الناس، فكانت تُقامُ لهم الأَخْبِيَةُ، والخِبَاءُ بيتٌ صغير، أو خَيْمةٌ قد تكون من صوفٍ أو شَعَرٍ أو وَبَرٍ[2]، وكانت تُقْطَع بحاجزٍ إلى قِسمين، أحدهما للرجال والضيوف، والآخَرُ للنساء والسَّكَنِ، ولا يدخُله الغرباء[3].

* * *

المطلب السادس ـ أَئِمَّةُ عكاظ وقُضَاتُه:

إن المحقِّق في خصائص الأسواق الموسميَّة، يجدُ أنه كان بها قُضَاةٌ، أو مُحكَّمُون، يَقْضُون بين الناس، ويَفْضُّون خُصوماتهم. فكانوا، كلما طُلب إليهم، يجلسون للنظر في المظالم، وفيما قد يَشْجُرُ من المنازعات، في أمور البيع والشراء، والتفاخُر بالأحْسَابِ، وعِزَّةِ النَّفَر... وربما قضى بين الناس الملوكُ، أو الرؤساءُ الذين تقعُ الأسواقُ في بلادهم.

كما يجدُ أيضاً أن نظامَ المتاجرة، في الأسواق الموسمية، كان يقتضي وجودَ إمام للسوق، إن لم تكن في أرضِ مملكة، كي يَفتتِحَ السوقَ عند

---

(١) المفصَّل: ٥/ ٦، ولسان العرب: ١/ ٥٥١ (ضرب) والمِضْرَبُ: فِسْطاطُ الملك، و ١/ ٦٥٩ (قبب)، و ٧/ ٣٧٢ (فسط).

(٢) لسان العرب: ٢/ ١٤ (بيت)، و ١٣/ ٢٠ (أقن)، والأزمنة والأمكنة: ٢/ ١٢٦، وأبو العباس أحمد بن يحيى ـ مجالس ثعلب: ٧٩، ١١٢.

(٣) المفصَّل: ٥/ ٧.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حُلول مَوسمها، ويَأذنَ بابتداءِ المتاجرة بين الناس، وحينئذٍ تقومُ السوقُ، وتصِحُّ المبايعات. . .

* * *

(١) ـ أئمَّةُ العرب وقضاتهم بعكاظ:

أَئمَّةُ العرب وقُضَاتُهم في مَواسِمهم بعُكاظ، كانوا من بني تميم، وكان ذلك يكون في أفْخَاذِهم كلها، أي في أَحْيَائهم أو فُروعِ قبيلتهم، فيتولَّى رجُلانِ منهم هذين الأمْرَين: قضاءَ عكاظ على حِدَة، والموسمَ على حِدَة[1]. وكان مَن اجتمع له منهم قضاءُ عكاظ وإمامةُ الموسم معاً: سعدُ بنُ زيد مناة بن تميم، ثم حَنْظلةُ بن مالك بن زيد مناة، ثم ذُؤَيْبُ بن كعب، ثم مَازِنُ بن مالك، ثم ثعلبةُ بنُ يربوع، ثم معاويةُ بن شُرَيْف، ثم الأضْبَطُ بنُ قُرَيْع، ثم صُلْصُلُ بن أَوْس، ثم سفيانُ بن مجاشع، وكان آخِرَ تميميٍّ اجتمع له القضاءُ وإمامةُ الموسم بعكاظ معاً، فلما مات سفيانُ افترق الأَمْرانِ، ولم يجتمع الموسمُ والقضاءُ لأحَدٍ منهم بعد ذلك. فكان محمدُ بنُ سُفيانَ بنِ مُجاشِع يقضي بعكاظ، ولمَّا مات صار ذلك إرثاً لهم. وكان يُجِيزُ بالموسم العلاقُ بنُ شِهابِ بنِ لأْيٍ، من بني عوافة بن سعد بن زيد مناة. وكان آخِرَ من قَضَى منهم بعكاظ، ووصل إلى الإسلام، الأَقْرعُ بنُ حابِس[2].

---

(١) أُنظر في جدول الأنساب التالي.

(٢) المحبَّر: ١٨١ ـ ١٨٣، والأزمنة والأمكنة: ٢/ ١٦٧ ـ ١٦٨، وابن حزم ـ جمهرة أنساب العرب: ٢٢٢. وقد غلط أحمد أمين إذ حسب أن محمد بن سفيان كان قاضياً بعكاظ في الإسلام، وإنما هو في الجاهلية، والأقرعُ بن حابس الذي وصل إلى الإسلام كان ابنَ حفيده! (الرسالة: ١٣/ ٢٥ لسنة ١٩٣٣).

أئمةُ العرب وقُضاتُهم في مواسمهم بسوق عكاظ[1]

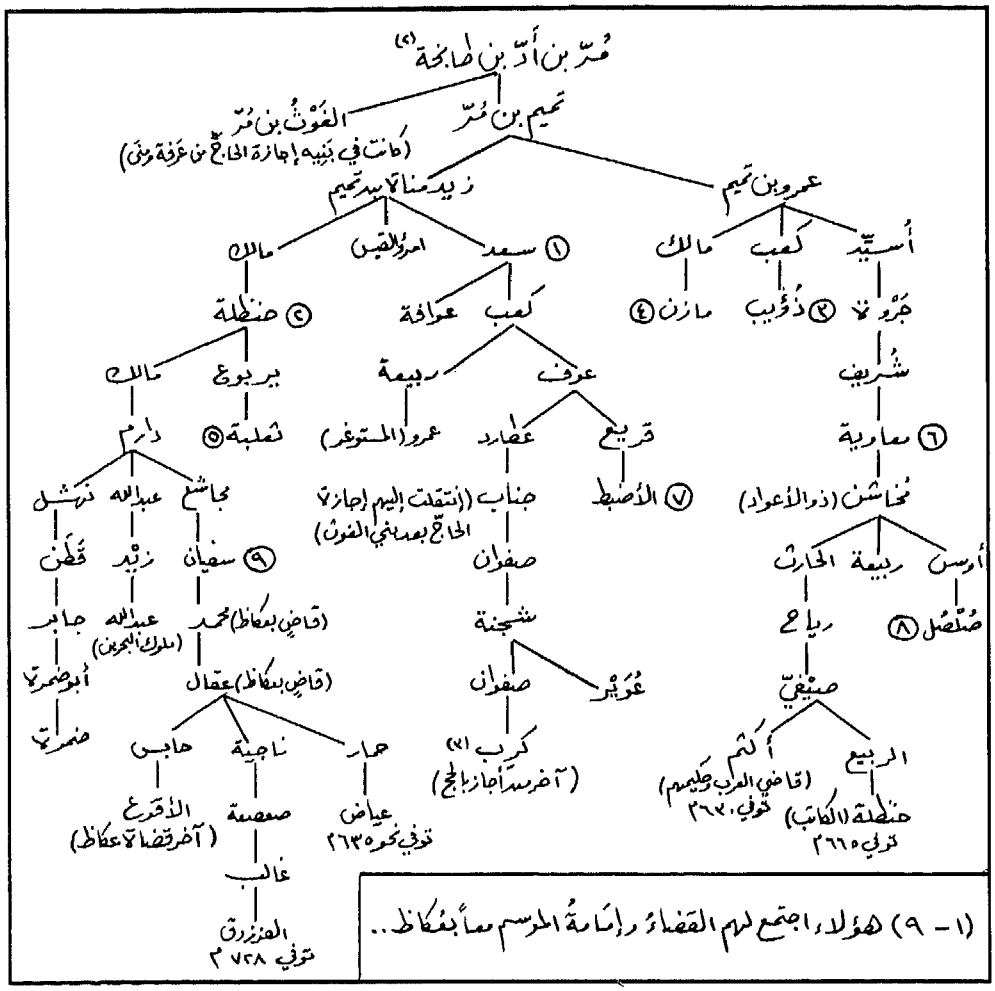

---

(١) المراجع ـ جمهرة أنساب العرب: ٢٠٧ ـ ٢٣٢، المعارف: ٧٨ ـ ٨٠. السيرة لابن هشام: ١/ ١٢٠ ـ ١٢١، الأغاني: ١١/ ١٣٢، المحبَّر: ١٨٢ ـ ١٨٣، مختلف القبائل: ٤٢، ٥٩، تاريخ اليعقوبي: ١/ ٢٥٨.

(٢) **مرٌّ بن أدّ**: هو مُرٌّ بن أَدّ بن طابخة بن إلياس بن مُضَر بن نزار، ونقدِّرُ أن مُرَّ بنَ أدّ، **وتميمَ بنَ مُرٍّ، وزيدَ مناة بن تميم**، ثلاثةُ أجيال كانت في القرن الثاني للميلاد، والأدلَّةُ على ذلك كثيرة، منها: **أكثمُ بنُ صَيْفيّ**، فقد قُدِّرتْ وفاتُه سنة (٦٣٠ م) عن عمر طويل، (الأعلام: ٦/٢). وقدَّر الزركليُّ مقتلَ الشاعرِ عبدِ يَغُوث الحارثي في وقعةِ يوم الكُلاب الثاني نحو سنة (٥٨٤ م) بعدما أُسِرَ فيها (الأعلام: ١٨٧/٤)، وفي تلك الوقعة خاطب أكثمُ قومَه بقوله: إني قد نيَّفْتُ على التسعين، (العقد الفريد: ٢٢٤/٥)، فيكون مولدُه بذلك نحو (٤٩٠ م)، ويكون تميمُ بن مُرّ، الجَدُّ العاشِرُ لأكثم، موجوداً نحو منتصف القرن الثاني. ومن الأدِلَّة أيضاً: **حنظلةُ الكاتبُ بنُ الربيع**، المتوفَىٰ سنة (٦٦٥ م)، **وعِيَاضُ بن حمار المجاشعيّ**، المتوفَى نحو (٦٣٥ م)... ومن الأَدِلَّة على صواب تقديرنا كذلك: حكايةُ غارةِ **الملكِ عمرو بن هندٍ** على بني نَهْشَل بن دارم، وفيها أنه قَتَلَ بقتلهم أخَاهُ عدداً منهم، حتى مرَّت به امرأةٌ من بني نهشل، فسألها من أنتِ؟ فقالت: أنا الحمراءُ بنتُ ضَمْرة بنِ جابر... والمعروفُ أن مُلْكَ عمرو بن هند كان بين (٥٥٤ ـ ٥٦٩ م)، والمرأةُ كانت يومئذٍ عجوزاً، فيكون تقديرُنا لعصر أخيها **ضمرة بن ضمرة** نحو (٥٠٠ م) صحيحاً، فإن كانت وُلدت نحو سنة (٤٧٠ م)، فهي عجوزٌ أيامَ مُلْكِ عمرو... (أيام العرب: ١٠٥).

(٣) في سلسلة نسبِ **كَرِبِ بن صَفْوانَ**، اضطرابٌ شديدٌ وقع في كلِّ المراجع التي رجعنا إليها، ذلك أن بني الغَوْث بن مُرّ، أصحابِ الإجازة بالحاجِّ من عرفة ومن منَى، مجهولون، ومجهولٌ الزمنُ الذي انتقلت فيه الإجازةُ منهم إلى بني صفوانَ بنِ جَنَاب. وقد اشتُهِر من هؤلاء كرِبُ بنُ صفوانَ بنِ شِجْنَة الذي كان يُجيز بأهل الموسم في الجاهلية، وعَمُّهُ عُوَيْرُ بنُ شِجْنَة، الذي أجار أهلَ امرىء القيس الشاعر، فقال فيه:

عُـوَيْـرٌ ومَـن مثـلُ العُـوَيْـرِ ورَهْطِـهِ أَبَـرَّ بـأيْمـانٍ وأوْفَـىٰ بجيـران

(جمهرة أنساب العرب: ٢١٩)، ولا شك في أن عُوَيْراً كان معاصراً امرأَ القيس الذي عاش بين (٤٩٧ ـ ٥٦٠ م)، وأن كَرِبَ بن صفوان كان قريبَ العهد من ظهور الإسلام...

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهكذا عرفنا أسماء تسعةِ رجال من بني تميم، اجتمعت لهم إمامةُ الموسم مع القضاء بعكاظ، ومن شأن هذا أن يعودَ بوجود عكاظ، إلى ما قبل سعد بن زيد مناة، أي إلى أواسط القرن الثاني الميلادي. وعرفنا أيضاً أسماءَ ثلاثةٍ آخَرين جاؤوا بعدهم، أحَدُهم: العلاقُ بنُ شهاب من بني عوافة بن سعد، وقد خَلَفَ سفيانَ بنَ مجاشع على إمامة الموسم، والآخَرُ: محمدُ بنُ سفيان خَلَف أباه على القضاء، ثم أوْرَثَهُ بَنِيهِ[1]، من بعده، فخَلَفَهُ عِقالُ بنُ محمد، ثم حابِسُ بنُ عقال، ثم الأقرعُ بنُ حابس وكان آخِرَ من تولَّى القضاءَ بعكاظ، وقيل إنه كان مجوسيّاً[2]، أسْلَمَ وشَهِدَ الفُتوح[3]. وقد عرفنا بالتحقيق أيضاً أن ضَمْرَة بن ضَمْرة من بني نَهْشَل بن دارم، كان أحَدَ قُضَاةِ بني تميم اللامعين، وُصِفَ بغزارة العلم، وذكاء العقل، وكرم السجِيَّة، وسَعَةِ الخبرة بأحوال العرب، وأنسابهم، وعاداتهم. وكان فارساً، شاعراً، شريفاً[4]... وأن ربيعةَ بنَ مُخاشِن، من بني أُسيِّد بن عمرو، كان كذلك من قُضاة تميم، وإليه كان مَرْجعُهم في أيامه، وكان عالم قومه، واقفاً على أنساب العرب، وأحسابهم، وكان من أَفْصَح الخطباء، كريماً، شجاعاً. وكان يجلسُ في المواسم على سريرٍ من خَشَبٍ، في قُبّةٍ، فسُمِّي ذا الأعواد[5]، خَلَفَ في ذلك أباه مُخاشِنَ بنَ معاوية، وكان قاضياً أيضاً بعكاظ، ورثَ القضاءَ عن أبيه معاوية بن شُرَيف[6]، وهو ممَّن اجتمع لهم

---

(١) الأعلام: ٦/ ١٤٦.

(٢) ابن قُتيبة ـ المعارف: ٦٢١.

(٣) الأعلام: ٢/ ٥.

(٤) المفصَّل: ٥/ ٦٤٢.

(٥) المحبَّر: ١٣٤، والمفصَّل: ٥/ ٦٤٢، والأغاني: ٣/ ٨٦.

(٦) الأعلام: ٧/ ١٩١، وتاريخ اليعقوبي: ١/ ٢٥٨.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يَقْدَمُون سوقَ عكاظٍ في مواسمها، ليَعْرِضُوا جديدَهم من الشِّعْر، على قاضي الشعراء، ويتنافَسُون في القول بين يَدَيْه، ليَحكُمَ بينهم، أَيُّهم أحْسَنُ قِيلاً، وأرَقُّ عبارةً، وأبْيَنُ وَصْفاً، وأكثرُ بلاغةً. وما استطعنا معرفتَهُ، من الموارد التاريخيَّة والأدبيَّة، أن الحكومة في الشعر كانت لقاضي الشعراء: النابِغَةِ الذُّبْيَانيّ، في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي. وكان أحْسَنَ العرب ديباجَةً، لا يتكلَّفُ الكلامَ، ولا يحشُو شعرَهُ بما لا يلزم، ولعلَّهم اسْتَقضُوه لهذه الخِصَال.

وهكذا كان في سوق عكاظ قضاةٌ مُخْتصُّون، بعضُهم بشؤون السوق، وما عساهُ أن ينشأ فيها من المنازعات التجارية، وربما الجنائية. وبعضُهم بشؤون الشعر، والحُكم بين الشعراء.

* * *

(٢) ـ كيف صارت رئاسةُ عكاظ والقضاءُ فيه إلى بني تميم:

وفي بحثه القضاءَ بعكاظ، تساءَل جوادُ عليّ عن العِلَّة، التي جعلتِ القضاءَ والموسمَ بعكاظ حقّاً من حقوق بني تميم، ثم ردَّ ذلك إلى ما كان لتميم من نفوذٍ بمكةَ، وعند قُريشٍ، ومَن كانوا بجوارها... إذ لا يُعقَلُ التسليمُ بهذه الرئاسة الكبرى إلى تميم، وهي رتبةٌ لها شأنٌ خطيرٌ عند قريشٍ خاصَّةً، وعند جيرانها مثلِ ثَقيفٍ وهَوازِنَ، فلا بُدَّ أن تكون وراء ذلك مصاهرةٌ بين تميم وقريش، أو لعلّ تميماً كانت تنزلُ بمكةَ قبل ارتحالِها إلى مواضعَ أخرى، أو كانت تشدُّها إلى قُريش علائقُ وثيقةٌ[1]... تساءَل عن ذلك، وكأن الأمرَ فيه أمْرُ قريشٍ، أو كأنَّ لها سلطاناً عليه! مع أن السوق،

---

(١) المفصَّل: ٥/ ٦٥٢ ـ ٦٥٤.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كما رأينا تقومُ، في أرض هَوازِنَ بعَالِيَةِ نَجْدٍ، ويوم انْسَحَبتْ قريشٌ وكنانةُ من عكاظ، عشيَّةَ حربِ الفِجَار، ثم علم بذلك عامرُ بنُ مالك، من بني جعفر بن كلاب، رئيسُ هَوازِنَ، قال: «غَدَرَتْ قريشٌ، وخَدَعني حربُ بن أُمية، واللَّهِ لا تنزِلُ كنانةُ عُكاظَ أبداً. . . ». ثم ركبوا في طلبهم، حتى أدركوهم بنخلة[1]. . .

ومعنى القول أن سيِّدَ هوازن كان يملكُ حقَّ حِرمَانِ قريشٍ وسائرِ كنانة من شُهودِ المواسم بعكاظ متى شاء، وهذا دليلٌ واضحٌ، على أن بني كنانة، وفيهم قريشٌ، ما كانوا يملكون من أمر سوق عكاظٍ شيئاً، لا في إمامة الموسم، ولا في القضاء بين نُزّلائه، ولا حتى في أرضه! وإنما كانت لهم فيه مصالحُ تجاريَّةٌ كبرى، لا يَسَعُهم الاسْتِغناءُ عنها. حتى موسمُ الإفاضة بالحاجِّ، غَداةَ يوم النحْر، من المزدلفة إلى مِنىً، كانت إمامتُهُ في بني زيد بن عَدْوان، من قيس بن عيلان، وليس في قريشٍ، مع أنه في أرض مكة، لا في نَجْد! وكذلك إجازةُ الحاجِّ من عَرَفة إلى المُزْدلفة، ثم من مِنىً يومَ النَّفْر إلى مكة، بعد رَمْي الجِمَار، كانت في بني الغَوْثِ بن مُرٍّ[2]، أخي تميم بن مُرٍّ، ولمّا انقرضوا، انتقلت إلى بني تميم، وكانت منهم في آل صفوانَ، من بني سعد بن زيْد مناة، وكان أَحَقَّ أن تنتقل إلى قريشٍ، إذ هي في أرضهم، لو أن لقُريشٍ في هذا الأمر شيئاً!

والحقيقةُ أن هذه الوظائفَ كانت قِسْمةً، قَسَمها، سيِّدُ بني خُزاعة، في قبائل مُضَر، بعد أن غَلب جُرْهُماً على ولايةِ مكة، وحجابةِ الكعبة، أو أَقَرَّهم عليها وكانت إليهم قبله. وكان نفوذُه وقتئذٍ يشمل تهامةَ والحجازَ ونَجْداً، وهو ما أشار إليه حسانُ بنُ ثابت بقوله في خزاعة:

---

(١) الكامل في التاريخ: ١/ ٥٩٢، وأيام العرب في الجاهلية: ٣٣٠.

(٢) جرجي زيدان ـ العرب قبل الإسلام: ٣٢٩.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فكان لها المِرْباعُ في كلِّ غارةٍ تُشَنُّ بنَجْدٍ، والفِجَاجِ العَوابِرِ[1]

أي كان يُجْبَى إلى زعيمها رُبْعُ الغنيمة، في كل غارةٍ تُشَنُّ، أكانت بنَجْدٍ أم في طُرُق الجبال. وهذا ما يؤكّدُهُ قولُ الأزرقيّ عن عمرو بن لُحَيّ: «وكان أمرُهُ بمكَّةَ، مُطاعاً في العرب لا يُعْصَى»[2]... ولذلك فإن قصيَّ بنَ كلاب، لمّا غَلبَ خُزاعة على ولايةِ مكة، وحِجَابةِ الكعبة، أَقَرَّ لقبائل مُضَر ما كانت عليه في عهد خُزاعة، إذ كان يَعُدُّهُ دِيناً في نفسه، لا ينبغي له تَغْييرُهُ[3]... ولا شيءَ يمنع أن يكون قد جرى على إمامة الموسم، والقضاءِ بعكاظ، مثلُ ما جرى على غيرها من تلك الوظائف، فظلَّت في بني تميم، وهم إذ ذاك قاعدةٌ من أكبر قواعد العرب، تمتدُّ منازلُهم من تهامة إلى ظواهر نَجْد والحجاز، إلى خليج العرب، من أعْلاهُ إلى أصقاع الأحساء (البحرين) وما وراءَها[4]. وكانت فيهم المَنَعَةُ، والعَدَدُ، والفَصاحَةُ، والشِعْر، والبأسُ[5]. وكان لهم مُلْكُ البحرين، ورِدَافةُ ملوكِ الحِيرَة[6]... وكانوا: أخْوالَ بني عَدوان، فأمُّ عَدْوانَ بنِ عمرو، جَدِيلةُ بنتُ مُرٍّ، أختُ تميم[7]، وأخْوالَ بني غَطَفانَ، فأمُّ غطفانَ بنِ سعد، تُكْمَةُ بنتُ مُرٍّ[8]، وأخْوالَ قُرَيشٍ، فأمُّ قريش بن كنانة، بَرَّةُ بنتُ مُرٍّ[9]... وغَطَفانُ وعَدْوانُ وكنانةُ كانت من

---

(١) أخبار مكة: ١/ ٩٥.

(٢) المرجع نفسه: ١/ ١٠٠.

(٣) تاريخ الطبري: ٢/ ٢٥٩، والسيرة لابن هشام: ١/ ١٢٤ ـ ١٢٥.

(٤) الأعلام: ٢/ ٨٨، و ٣/ ٨٥، وعمر رضا كحالة ـ معجم قبائل العرب: ١٢٦.

(٥) تاريخ اليعقوبي: ١/ ٢٢٩.

(٦) المعارف: ٦٥١، والمحبَّر: ٢٦٥، والأزمنة والأمكنة: ٢/ ١٦٢.

(٧) جمهرة أنساب العرب: ٢٤٣.

(٨) المرجع نفسه: ٢٠٦.

(٩) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١١٩.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كُبْريَات قبائل مُضَرِ بن نزار. ولكنّ هذا كلَّه لا يمنعُ من التأكيد على أن اختصاصَ بني تميم بإمَامةِ الموسم والقضاءِ بعُكاظ، إنما كان، كما ذكرتُ آنفاً، قسمةً مقسومةً لهم، منذ شَرَعَ عمرو بنُ لُحيّ، في عهد خزاعة، بتنظيم مكةَ، وشؤونِ العرب في الحجاز ونَجْد، وتوزيعِ الأعمال على قبائل مُضَر...

* * *

③ ـ الخلطُ بين مواسم الحجّ ووُلاتِها وموسمِ عكاظ:

وما دمنا نُحقّق في شأن إمامةِ الموسم، والقضاءِ بعكاظ، فهنالك أمرْانِ، لم يكن بُدٌّ من عَرْضهما للبحث والتحقيق، لإزَالَة اللَّبْس عنهما.

الأول: إشارةٌ يجبُ التوقُّف عندها، ذهبتْ إلى أن أَئمَّةَ العرب، وقُضاتَهم في مَواسِمهم بسوق عكاظ، بعد عامِرِ بنِ الظَرِبِ العَدْوانيّ، بنو تميم[1]... وهو غَلَطٌ يقتضي التصويبَ، لأنه يجعلُ من إمامةِ الموسم والقضاءِ بعكاظٍ، أصْلاً، في بني عَدْوان، انتقلت منهم إلى بني تميم، بعد وفاة عامر بن الظرب، والمشهورُ أن الرجلَ كان من المعمَّرين[2]، ولو أخذنا بأدنى العَمَرِ، وهو مئةٌ وعشرون سنة، وقدَّرْنا وجودَهُ أواخِرَ القرن الثالث للميلاد[3] إذ هو التاسعُ على عمود النسب من عَيلان بن مُضَر، لكان معنى ذلك أنه تُوفي نحو سنة (٤٠٠ م)، وأن سعدَ بنَ زيد مناة أَتَىٰ بعد ذلك بجِيلٍ على الأقل، بينما سعدٌ في الحقيقة السادسُ على عمود النسب من إلياس بن

---

(١) المحبَّر: ١٨١، والأزمنة والأمكنة: ٢/ ١٦٧، والعقد الفريد: ٣/ ٣٥١.

(٢) الأعلام: ٣/ ٢٥٢.

(٣) قدَّر ابنُ بليهد وجوده قبل مبعث النبي عليه السلام بنحو ثلاث مئة سنة. «موقع عكاظ: ٣٦»، أي نحو سنة (٣١٠ م)، وهو قريب من تقديرنا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مُضَر، وسابقٌ على عامر بن الظرب بثلاثة أجيال على الأكثر[1]... هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإطْبَاقُ المؤرِّخين على أن سعد بن زيد مناة أوَّلُ من اجتمع له الأَمْرانِ من بني تميم، يعني أن هنالك مَن كان قبله يتولَّىٰ ذلك، رجلٌ لإمامة الموسم، وآخرُ للقضاء، أي زيدُ مناة بنُ تميم وأخوه عمروُ بن تميم، لأن وِرَاثةَ الأَمْرَيْن كانت في ذُرِّيتهما، كما يعني أن هذا الشأنَ من عكاظ كان في بني تميم منذ أواسط القرن الثاني للميلاد، وأن أوَّليَّةَ عامر بن الظرب فيه غيرُ صحيحة! بل وغيرُ صحيح أيضاً القولُ بأنه تولَّى شأنَ القضاءِ وإمامةِ الموسم بعكاظ اختصاصاً، فهذا وَهْمٌ، مَنْشَؤه شِعرٌ لذي الأصبع العَدْوانيّ[2]، قال فيه يفخر ببني عَدْوان:

ومنهم من يُجِيزُ الناسَ ... بالسُّنَّةِ والفَرْضِ
ومنهم حَكَمٌ يَقْضي ... فلا يُنْقَضُ ما يَقْضي[3]

فقولُه: ومنهم مَن يُجيزُ الناسَ، إشارةٌ إلى الإفاضَةِ بالحاجِّ من المُزْدَلفة إلى مِنىً، وكانت في بني زَيْد بن عَدْوان، وآخِرُهم أبو سيَّارة، عُمَيْلةُ بنُ الأعْزل، الذي قام عليه الإسلام[4]. وأما قولُه: ومنهم حَكَمٌ يقضي، فإنه يعني عامِرَ بنَ الظَرِب، وكان حَكَماً للعرب، لا تَعْدِلُ بفَهْمِهِ فَهْماً، ولا بحُكْمه حُكماً[5]... لكنّ هذا لا يعني أنه كان قاضياً مُتَخصِّصاً بعُكاظ، كبني

---

(١) انظر جدول قيس بن عيلان (ص ٥٥)، وجدول أنسَاب بني تميم بن مر (ص ٦٧).

(٢) ذو الأصبع العَدْوانيُّ: حُرْثان بن الحارث، شاعر جاهليٌّ، حكيم، شجاع، وفارسٌ من قدماء الفرسان الشعراء، عاش طويلاً حتى عُدَّ في المعمَّرين. له أخبار وحروب ووقائع.

(٣) الأغاني: ٣/ ٨٦.

(٤) السيرة لابن هشام: ١/ ١٢٢.

(٥) مجمع الأمثال: ١/ ٥٣، وابن قتيبة ـ عيون الأخبار: ١/ ٧٣.